جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم علوم إنسانية

فرع التاريخ

تخصص تاريخ حديث ومعاصر

حملتا فرنسا على مصر والجزائر
دراسة في الخلفيات والانعكاسات
(1798- 1830م)

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبين:

ـ بوعلام حلوان

ـ شيراز عولة

إشراف الأستاذ:

ـ رشيد مريخي

السنة الجامعية: 2016 / 2017 م

جامعة مولود معمري تيزي وزو

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

فرع التاريخ

قسم علوم إنسانية

تخصص تاريخ حديث ومعاصر

حملتا فرنسا على مصر والجزائر
دراسة في الخلفيات والانعكاسات
(1798- 1830م)

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

قائمة أعضاء لجنة المناقشة:

ـ أ. سعيد بورنان رئيسا.

ـ أ. عبد العزيز خيثر عضوا.

ـ أ.رشيد مريخي مشرفا ومقررا.

إعداد الطالبين:

ـ بوعلام حلوان

ـ شيراز عولة

السنة الجامعية: 2016 / 2017 م

كلمة شكر

إن واجب الشكر يدعوننا ونحن ننهي هذه المذكرة أن نتقدم بجزيل العرفان إلى كل أساتذة التخصص كل بإسمه، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **رشيد مريخي** على نصائحه وتوجيهاته طوال فترة انجاز المذكرة، كما لا يفوتنا أن نوجه رسالة تقدير إلى رئيسة المكتبة المركزية بومرداس التي فتحت لنا أبواب المساعدة والإعانة.

نشكر كل من قدم لنا خدمة ولو يسيرة من قريب أو من بعيد.

إهداء

إلى من أوصى المولى عز وجل بطاعتها، وجعل الجنة تحت أقدامها، إلى التي سهرت على تربيتي وأحسنت ذلك، إلى التي وهبت حياتها وشبابها خدمة لراحتنا وتنشئتنا على النحو الذي يرضاه الله لنا، تعثرت ولم تعرف للسقوط معنى، جابهت نكبات الدهر بصبر قل نظيره، في وقت العسر الحاجة وجدناها جبلا شامخا يصد عواصف الزمن العابرة، إلى التي سعت إلى تقديم أفضل ما تملك هبة لأجلي أسأل الله تعالى أن يبقي نورها قنديلا يضيء طريقي .

إلى أمي العزيزة "حياة" رعاها الله، ووفقنا للإحسان نحوها و رد الجميل لها.

إلى الذي مهد لي درب العلم والمعرفة و كان له الفضل بعد الله عز وجل في بلوغي هذه المرتبة، إلى الذي ذلل العقبات والصعوبات من أجل نجاحي و تفوقي.

إلى أعز ما أملك في الوجود أبي "فريد" حفظه الله و رعاه.

إلى أخي "وحيد" الذي تقاسمت معه حلاوة الحياة ومرارتها، فعوض عني غياب الأخت، ووحشة الأيام، وفقه الله للنجاح في مسيرته الدراسية والمهنية مستقبلا إن شاء الله، وأدامه لي في السراء والضراء.

صديقاتي كل باسمها، لكن من شاركوني في حياتي الخاصة والدراسية وكانوا نعم الصديقات والسند الذي لطالما ارتكزت عليه في سقطاتي وعثراتي.

إلى جميع أفراد العائلة الكبيرة الذين طالما وقفوا إلى جانبي في إنجاز هذا العمل وحفزوني بكل ما استطاعوا إليه سبيلا وشجعوني للمضي قدما في مشواري الدراسي إلى أبعد مدى.

شيراز

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: خلفيات الحملة الفرنسية على مصر وتداعياتها على الصعيد المحلي والدولي

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على مصر

المطلب الأول: جذور الحملة والظروف المحيطة بها

المطلب الثاني: الدوافع الحقيقية للحملة الفرنسية على مصر

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية على مصر وانعكاساتها

المطلب الأول: البعد الإستعماري من الحملة الفرنسية

المطلب الثاني: نظرة تحليلية نقدية للشق الحضاري من الحملة الفرنسية على مصر

الفصل الثاني: خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر وتداعيتها

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على الجزائر

المطلب الأول: جذور الحملة والظروف الممهدة لها

المطلب الثاني: أسباب الحملة بين الإدعاءات الفرنسية والحقيقة التاريخية

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية وانعكاساتها

المطلب الأول: التداعيات السياسية والإقتصادية

المطلب الثاني: التداعيات الاجتماعية والدينية

الفصل الثالث: المشروع الفرنسي على مصر والجزائر نقاط الإلتقاء والتباعد

المبحث الأول: تشابه المقدمات في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر

المطلب الأول: دور الإستشراق في حملتي فرنسا على مصر والجزائر

المطلب الثاني: حملتا فرنسا على مصر والجزائر دور من أدوار المسألة الشرقية

المطلب الثالث: نظرة تحليلية للبيانين الفرنسيين في مصر والجزائر

المبحث الثاني: اختلاف النتائج في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر

المطلب الأول: أسباب فشل الحملة الفرنسية على مصر

المطلب الثاني: مقومات نجاح فرنسا في حملتها على الجزائر

خاتمة

الملاحق

البيبليوغرافيا

الفهارس

قائمة المختصرات les Abréviations

1- باللغة العربية:

- المجلد: مج
- الجزء: ج
- الطبعة : ط
- دون مكان الطبعة : د.م.ط
- دون مكان النشر : د.م.ن
- دون تاريخ : د.ت
- الصفحة : ص
- عدد الصفحات: ص ص
- العدد : ع
- الترجمة : تر
- الميلادي : م
- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954 : م.و.د.ب.ج.و.ث.

2- باللغة الفرنسية:

- Volume : Vol
- Tome : T
- Page : P

المقدمة

مقدمة

شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية الثلث الأول من القرن التاسع عشر تنافسا غير مسبوق بين القوى الأوروبية الفاعلة على أملاك الدولة العثمانية الآيلة للسقوط، وقد شارك في هذه الحركة الإستعمارية فاعلون قدامى في الميدان الإستعماري في مقدمتهم بريطانيا العظمى و فرنسا، هذا وقد سعت هذه الاخيرة إلى مد نفوذها و التطلع إلى الريادة في سباق السيطرة على المناطق الحيوية، فهي التي تجد في التوسع الإستعماري موضوعا للإنتشار ووسيلة لإسترداد مكانتها كدولة كبرى يجب أن تكون حاضرة في كل مكان .

هذا المنحى التصاعدي للقوة الفرنسية خاصة بعد نجاح ثورتها (1789-1799م) قابله تراجع حاد في القوة العثمانية، هذه الأخيرة أصبحت تلعب دورا هامشيا و ثانويا في القضايا الدولية، مما سهل على الدول الأوروبية التدخل في شؤونها الداخلية بدءا بدعم الحركات الإنفصالية مرورا بإثارة الفتن الداخلية وصولا إلى التدخلات العسكرية المباشرة في مختلف إيالاتها.

وعلى هذا النحو تمخض عن التنافس الإستعماري خاصة بين بريطانيا و فرنسا حول أملاك الدولة العثمانية أن اتجهت حكومة الإدارة (حكومة الثورة الفرنسية) إلى توجيه حملة عسكرية على مصر - إحدى أبرز إيالات الدولة العثمانية- ضمن مخططات نابليون بونابرت في الشرق .

اتبعتها حكومة شارل العاشر بعد ذلك بثلث قرن بحملة عسكرية أخرى إستهدفت مركز المغرب العربي، ونقصد بذلك إيالة الجزائر ضمن مخططات الملك الفرنسي في

إفريقيا، ومن خلال موضوعنا أو دراستنا هذه نحاول قدر الإمكان أن نغوص في الأسباب الحقيقية والدوافع الموضوعية الكامنة وراء الحملتين، مخلفاتها وتداعياتها على المنطقتين ومدى تقارب المشروعين الفرنسيين في مصر والجزائر من عدمه .

أما فيما يخص دوافع إختيارنا لهذا الموضوع تتمثل فيما يلي:

الدافع الذاتي: ويتلخص في الميولات الشخصية للخوض في هذا الموضوع وتبيان الحقيقة التاريخية التي لطالما علقت بها بعض الشبهات والإفتراءات التي هدفت لتبرير عملة الغزو والإستعمار، هذا وقد تعزز هذا التوجه باقتراح أحد أساتذة التخصص الذي حفزنا للبحث في خبايا وثنايا هذه الدراسة.

الدافع الموضوعي: ويتمثل في القيمة العلمية والمعرفية التي يكتسيها الموضوع محل الدراسة في ظل كثرة التوجهات والآراء، وانسياق بعض المؤرخين وراء فكرة المدنية والتحضر التي يحملها الإستعمار الفرنسي، ومن جهة أخرى بقيت العديد من جوانب هذا الموضوع مهملة من حيث البحث، وإن درست كانت سطحية وعامة، كما أن الجمع بين الحملتين بهذا العنوان في دراسة واحدة لم ينل حقه من البحث.

وقد تبلورت الإشكالية الرئيسية لموضوع الدراسة حول مدى تقارب وتشابه المشروعين الفرنسي على مصر وعلى الجزائر نقاط التداخل والتباعد وتسليط الضوء على مقومات النجاح و أسباب الفشل في كلتا الحملتين .

هذا وتندرج ضمن هذه الإشكالية العامة مجموعة من التساؤلات الفرعية تتمحور أساسا حول:

- تاريخ الفكر التوسعي الإستعماري الفرنسي في مصر والجزائر؟
- وما هو المحرك الرئيسي والمحوري لحملتا فرنسا على مصر والجزائر؟
- ماهي أبعاد الحملتين و تأثيراتها على المدى القريب و المتوسط؟
- إلى أي مدى صحة المبررات التي ساقتها الحكومة الفرنسية لشرعنة عملها أو مشروعها في الجزائر و مصر؟
- تضارب الأراء و إختلاف المواقف بين المؤيد للهدف الإستعماري للحملة وبين المؤكد للهدف التنويري الحضاري للحملة؟
- ما مدى نجاح المشروعين الفرنسيين في مصر والجزائر؟

وللإجابة على هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع، إعتمدنا خلال موضوع دراستنا هذه على ثلاثة مناهج هي على النحو التالي (قياسا بخصوصية و طبيعة الموضوع):

المنهج الوصفي السردي الذي يقوم على عرض الوقائع والأحداث التاريخية وتتبع التحولات والمستجدات وربطها بإطارها الزماني والمكاني المتصلين وتصنيفها حسب درجة الأهمية والتأثير، فمن خلال دراستنا هذه حاولنا تتبع سير الأحداث وتراكمها على مر العقود لتفرز لنا هذه الحملتين، كما اعتمدنا عليه لوصف مختلف التطورات المتعلقة بها وقد راعينا في ذلك الترتيب الكرونولوجي للأحداث.

أما المنهج الثاني فهو **المنهج المقارن** الذي يقوم على معرفة كيفية ومسببات وقوع الحادثة التاريخية من خلال مقارنتها مع بعضها من حيث أوجه الشبه والإختلاف،

وينطلق هذا المنهج من مبدأ أن تشابه الظروف قد يؤدي إلى نفس النتائج أو العكس من ذلك، و لقد إستعنا بهذا المنهج لإبراز نقاط الإلتقاء و التضاد بين حملتي فرنسا على مصر ثم على الجزائر سعيا منا للوصول إلى إستنتاجات دقيقة وعلمية تجيب على إشكالية الموضوع.

و بالحديث عن آخر المناهج المعتمدة فهو **المنهج التحليلي النقدي** وذلك بشرح وتفسير ومناقشة المفاهيم والدلالات التي تقدمها الوثائق والنصوص التاريخية سواء من مصادرها الخاصة التي تحدثت عن الحملتين أو عن طريق الدراسات التي تناولت جانبا أو أكثر من الموضوع قيد البحث.

ولدراسة هذا الموضوع ومعالجة التساؤلات المرتبطة به قمنا بتقسيم الموضوع إلى ثلاثة فصول منسقة ومتكاملة تكاملا عضويا كانت على النحو الآتي:

الفصل الأول: الموسوم بعنوان خلفيات الحملة الفرنسية على مصر و تداعياتها.

تضمن مبحثين هما تواليا:

المبحث الأول: **أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على مصر**، تناولنا فيه النوايا والمخططات الفرنسية لإحتلال مصر والظروف المحلية المحيطة بهذه الأخيرة وكذا ظروف فرنسا المتزامنة مع ثورتها، ثم عرجنا للحديث عن الدوافع الحقيقة المحركة لهذه الحملة من وجهة نظر موضوعية.

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية على مصر و انعكاساتها وقد قسمناه بدوره إلى فرعين، أما الجانب الأول فكان مخصصا لإبراز الوجه الإستعماري للحملة بينما

تطرقنا في الجانب الثاني للمغزى الحقيقي والهدف الرئيسي من الطابع الحضاري التنويري الذي اتسمت به هذه الحملة.

الفصل الثاني: الموسوم بعنوان خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر وتداعياتها.

قسمناه إلى مبحثين هما على النحو الآتي:

المبحث الأول: أسباب و دوافع الحملة الفرنسية عل الجزائر، وتناولنا فيه بداية الجذور التاريخية للحملة ثم عرجنا للحديث عن الظروف المحيطة بالحملة وختمنا المبحث بالتطرق إلى المقارنة بين الأسباب و المبررات التي صاغتها حكومة شارل العاشر و الدوافع الحقيقة من وجهة نظر مصادر محلية و غربية.

المبحث الثاني: وكان عنوانه نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر وانعكاساتها، وتناولنا من خلاله تأثيرات الغزو بدءا من الممارسات الإستعمارية مرورا بتغيير البنية الإقتصادية والعمل على تشويه الثقافة والحضارة الإسلامية في الجزائر.

الفصل الثالث: الموسوم بعنوان المشروع الفرنسي على مصر والجزائر نقاط الإلتقاء و التباعد.

قسمناه أيضا إلى مبحثين:

المبحث الأول: تشابه المقدمات في حملتا فرنسا على والجزائر، وتطرقنا فيه لظاهرة الإستشراق و أثرها عل المنطقتين، وضع الدولة العثمانية المتردي وترصد الدول الأوروبية لإقتسام ممتلكاتها التي من ضمنها الجزائر ومصر، كما وقفنا عند تشابه

البيانان الموجهان للشعب الجزائري والمصري وهل كان ذلك عرضيا أم أنه إمتداد لسياسة خارجية فرنسية واحدة.

المبحث الثاني: إختلاف النتائج في حملتا فرنسا على مصر والجزائر، واستعرضنا فيه الأسباب الموضوعية التي أدت إلى نجاح فرنسا في حملتها على الجزائر و فشل حملتها في مصر (نظرة تحليلية لوضع الدولة العثمانية و مدى تأثير ذلك على المنطقتين بالرغم من التطابق الكلي في المشاريع و الأسباب الممهدة لعملية الغزو) .

وقصد إستفاء الموضوع حقه من الدراسة اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع باللغة العربية واللغة الفرنسية، إضافة إلى عدد من المقالات والرسائل الجامعية التي تناولت جانبا من جوانب الموضوع وخدمت دراستنا هذه بدرجات متفاوتة، ومن أهم المصادر نذكر:

- مخطوط عبد الله الشرقاوي الموسوم تحفة الناظرين في من تصرف في مصر من الولاة والسلاطين.
- كتاب المرآة لعثمان بن حمدان خوجة والذي يعتبر أهم مؤلف عن الحملة الفرنسية على الجزائر، نظرا لمعاصرته الشخصية لها بالإضافة إلى كون المنصب الذي كان يتقلده سمح له بالتقرب من الطبقة الحاكمة في الجزائر، ولهذا نجد كتاباته تتسم بدرجة كبيرة من المصداقية والموضوعية.

- كتاب عجائب الأثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمان الجبرتي الذي كان أكبر سند لنا لمعرفة خبايا وتفاصيل الحملة عن مصر وهذا لمعاصرته لها، كما له مؤلف آخر تحت عنوان مذهب التقديس بذهاب دولة الفرنسيس.
- كتاب ذكر تملك جمهورية الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية لنقولا الترك.

أما فيما يتعلق بالمراجع نخص بالذكر:

- كتاب الجزائر في كتب الرحالة الألمان 1830- 1855م لمؤلفه أبو العيد دودو.
- كتب أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الحديث نذكر منها أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الحديث، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الإحتلال.
- كتاب شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، لمولود بلقاسم نايت بلقاسم، هذا المؤلف هو عبارة عن جمع لوثائق أرشيفية ومراسلات وتقارير بين الحكومة الجزائرية والفرنسية على وجه الخصوص.
- كتاب الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر لمحمد فؤاد شكري الذي تناول موضوع الحملة من كل جوانبه وتفاصيله.

كما استندنا لدراسة هذا الموضوع على مجموعة من المقالات:

- مقالة حسن الويسي التي تحمل عنوان مالك بن نبي وموقفه من الإستشراق.
- مقالة إبراهيم لونيسي تحت عنوان حملتا فرنسا على مصر والجزائر.

وللتعمق أكثر في دراسة هذا الموضوع استعننا بمجموعة من المصادر والمراجع باللغة الفرنسية ومن أهمها:

Volney: Voyage en Syrie et en Egypte Pendent les année 1783, 1784, 1785.…

François Charle Roux :Les Origines de l'Expédition Francaise sur l'Egypte .

وكأي بحث جامعي لم تخلو دراستنا هذه من بعض العراقيل والمعيقات نلخصها فيما يلي:

- صعوبة التوفيق بين إنجاز المذكرة ومتطلبات التمدرس خاصة السداسي الأول.
- ندرة المصادر والدراسات التي تتحدث عن الحملتين مجتمعتين(نقصد بذلك الفصل الثالث من الموضوع محل البحث).
- بعد المسافة بين الكلية ومراكز البحث والتوثيق.

ومن خلال مختلف مراحل هذه الدراسة حاولنا قدر الإمكان أن نغطي مجمل التفاصيل والجزئيات التي أهملت ولم تلقى حظها الكافي من البحث.

الفصل الأول

الفصل الأول

خلفيات الحملة الفرنسية على مصر وتداعيتها على الصعيد المحلي والدولي

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على مصر

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية على مصر وانعكاساتها

شهد العقد الأخير من القرن الثامن عشر قيام الحكومة الفرنسية بزعامة نابليون بونابرت بإعداد حملة عسكرية على مصر، مستغلة تحسن أوضاع الأولى محليا ودوليا ومنتهزة في الوقت نفس تراجع هيبة الدولة العثمانية على الصعيد العالمي، هذا وقد ساقت الحكومة الفرنسية جملة من الأسباب والدوافع رأت فيها مبررا كافيا لغزو مصر، لم تحقق الإجماع وسط المؤرخين والباحثين، لكن النجاح لم يساير الفرنسيين بعد فترة استقرارهم النسبي وفقا لمستجدات دولية وإقليمية، ومع ذلك فقد خلفت هذه الحملة آثارا استعمارية واضحة أكدتها التجاوزات المرتكبة.

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على مصر

المطلب الأول: جذور الحملة والظروف المحيطة بها

1- النوايا والمخططات الفرنسية لاحتلال مصر

إن احتلال مصر مركز المشرق العربي كانت منذ عقود مضت رغبة قوية وملحة لدى فرنسا، بل بقيت أملا لساستها وقادتها ينتظرون الفرصة السانحة لتحقيقها، وفي سبيل ذلك كانوا يبعثون رجالهم إلى مصر على هيئة تجار أو سفراء أو رحالة يسجلون دقائق حياتهم في تقارير يرسلونها إلى قادتهم، والثابت تاريخيا أن الصراع الفرنسي المصري تعود جذوره إلى أيام الحروب الصليبية[1] والصراع التقليدي بين الشرق والغرب، وكثيرا ما يربط المؤرخون بين حملة نابليون بونابرت[2] والحملة الصليبية على مصر بقيادة لويس التاسع(1248-

---

[1]- إمتدت الحروب الصليبية لحوالي مائتي عام في الفترة الممتدة بين (1095- 1291م)، تعود أسبابها إلى الأوضاع السياسية الاقتصادية الاجتماعية والفكرية التي طرأت على غرب أوروبا، هذه الحروب اتخذت من الدين ستارا لتحقيق أهدافها، للمزيد أنظر: محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية (1095- 1291م)، دار المعرفة الجامعية، (د.م.ن)، 2000، صص15- 16.

[2]- ولد نابليون في أجاكسيو إحدى مدن جزيرة كورسيكا عام 1769م، إلتحق بالكلية العسكرية بباريس عام 1784م، وبعد قيام الثورة الفرنسية إنضم إليها فأصبح أحد أبرز قادتها، قام بالعديد من الحملات العسكرية على أوروبا وفق مبدأ تصدير أفكار الثورة الفرنسية نذكر منها؛ حملته على إيطاليا عام 1796م، وعلى مصر 1798م، قلد نفسه إمبراطورا عام 1804م، نفي عام 1815م إلى جزيرة سانت هيلانة في أعقاب انهزامه أمام قوات التحالف الأوروبي، توفي عام 1821م، للمزيد أنظر: إبراهيم رمزي، كلمات نابليون، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.م.ن)، 2014، ص11.

1252م)[1] وانهزام هذا الأخير عند المنصورة ودمياط ووقوعه أسيرا ولم يفك أسره ومن معه إلا بعد دفع فدية من المال قدرت بعشرة ملايين فرنك[2]، فبالرغم من انهزام الفرنسيين واندحار نحو ثلاثين ألف منهم فإن الحملة وارتباطها باسم الملك لويس التاسع قد تركت أثرا نفسيا ودينيا لا يمحى من أذهان الشعب الفرنسي[3]، ومن هذا المنطلق نحاول أن نحصر النوايا والمخططات التي تؤكد أن حملة نابليون بونابرت ما هي إلا امتداد لسياسة فرنسية قديمة في الشرق:

أ- مقترح ليبنز وشوازول

في سنة 1672م حينما كان لويس الرابع عشر[4] يحارب هولندا صاحبة النفوذ والمستعمرات في الشرق والغرب أتى مقترح ليبنزLeibnitz[5] القاضي بضرورة إعداد حملة للإستيلاء على مصر بدلا من هولندا، مبينا أن مصر هي الطريق الحقيقي لتجارة الهند وباستطاعة الملك هزيمة الهولنديين[6] وبالتالي ضمان بسط السيادة الفرنسية، ففي هذا الصدد قال في تقريره:" **إنكم لا تهزمون الهولنديين في عقر دارهم، إنكم لا تستطيعون**

---

[1]- لويس التاسع: أو القديس لويس(Saint Louis)، ولد عام 1214م، أصبح ملكا لفرنسا ما بين 1226و1228م، قاد حملة صليبية على مصر سنة 1249م، غير أن المسلمين انتصروا عليه وأسروه، بعد إطلاق سراحه جهز الحملة الصليبية الثامنة باتجاه تونس لكنها باءت بالفشل، توفي هناك عام1280م. أنظر: بسام العسلي، نابليون بونابرت(1768-1821م)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.م.ن)، 1980، ص87.

[2]- أطلق سراحه على إثر عقد هدنة بين الطرفين(صلح يافا) من أهم شروطها: أن يسلم الملك الفرنسي مدينة دمياط وتقديم فدية وإطلاق سراح الأسرى الذين بحوزته في الشام، للمزيد أنظر: محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص314.

[3]- عبد الرحمن الرافعي: الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر،ج1، ط6 ، دار المعارف، (د.ت)، ص75.

[4]- إبن لويس الثالث عشر، رفع الملكية إلى ذروة مجدها، حكم فرنسا في الفترة مابين (1643- 1715م)، للمزيد أنظر: حسين محمد نصار، الموسوعة العربية الميسرة ، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ص 2911.

[5]- غاترتريد ويليام ليبنتز Gattertreed Williem Leibnitz هو فيلسوف ورياضي وسياسي ومؤرخ، ولد في ليبرج بألمانيا عام 1646م وتوفي عام 1716 م، له مؤلف باللاتينية تحدث فيه عن تاريخ الحروب الصليبية وحملة لويس التاسع على مصر ثم تحدث عن علاقة فرنسا بالدولة العثمانية ومصلحة فرنسا في احتلال وادي النيل ونشرت بلندن بالإنجليزية عام 1803م، للمزيد أنظر: أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، مؤسسة الهنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، 2012، ص89.

[6]- محمد فرج: النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، تقديم محمد عطا، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت)، ص71.

تخطي السدود التي تحيط ببلادهم، وإذا أعلنتم عليهم الحرب فإن أوروبا ستنضم إلى جانبهم، لكن مصر هي الميدان الذي تضربونهم فيه فمن هناك تصلون إلى الطريق الحقيقي لتجارة الهند، وهناك تستطيعون امتلاك زمام تلك التجارة وانتزاعها من يد الهولنديين وتضمنون بسط سلطان فرنسا وسيادتها في بلاد المشرق إلى ما شاء الله، وتكسبون عطف المسيحية وتستحقون ثناءها، وهنالك لا تخسرون عطف أوروبا بل تجدونها مجتمعة على الإعجاب بكم"[1].

لكن لويس الرابع عشر لم ينفذ المشروع لتفوق فرنسا في أوروبا من جهة وحرصه على ضرورة المحافظة على العلاقات الودية مع الدولة العثمانية من جهة أخرى، وبظهور مطامع روسيا في عهد كاترين الثانية[2] تجاه أملاك الدولة العثمانية رغبت فرنسا بالحصول على مصر لإقامة التوازن بين الطرفين[3].

أما في عهد الملك لويس الخامس عشر[4] فقد كان وزير خارجيته الدوق شوازول Choiseul[5] من أنصار فكرة احتلال فرنسا لمصر، لكنه في الوقت نفسه كان متبعا خطة فرنسا القديمة في المسألة الشرقية[6] وهي مصادقة العثمانيين وموالاتهم، فكان يطمع في أن

---

[1]- عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص76.

[2]- ولدت بألمانيا، جلست على العرش الروسي من (1763 إلى 1796م) حافظت على تطبيق وصية بطرس الأول الهادفة إلى إعادة مجد بيزنطة باعتبار روسيا وريثة لها وحامية للمذهب الأرثودكسي، استهلت عهدها بإدخال إصلاحات جذرية على الإدارة، وفي عهدها عقدت معاهدة كوتشوك كينارجي عام 1774م مع الدولة العثمانية، كما ضمت القرم عام 1783م، للمزيد أنظر: حسين محمد نصار، المرجع السابق، صص2216- 2217.

[3]- أحمد يوسف: بونابرت في الشرق الإسلامي، تر أمل الصبان، تقديم أحمد زكريا الشلق، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص51.

[4]. (1715-1774م) خلف جده لويس الرابع عشر وعمره خمسة سنوات، وكان من أضعف ملوك فرنسا، إذ فقدت الملكية الملكية المطلقة في عهده قوتها، خاض عدة حروب ضد خصومه كحرب الوراثة النمساوية(1740-1748م). أنظر: عمر عبد العزيز عمر، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص280.

[5]- وزير خارجية فرنسا(1757- 1770م)، بذل جهدا كبيرا في إحياء البحرية الفرنسية وتقويتها، وفي إعادة بناء صرح الإمبراطورية الفرنسية التي انهارت في صلح باريس عام 1763م، وكان ممن فكروا في إنشاء مستعمرة فرنسية بمصر، أنظر: أحمد حسين الصاوي، فجر الصحافة في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)،1975، ص17.

[6]- للمزيد من التفاصيل عن المسألة الشرقية أنظر الفصل الثالث، ص102.

تحتل فرنسا مصر عن طريق المفاوضات مع الباب العالي والإتفاق معها ولم يكن يرى عيبٌ عليها في هذا التنازل لأن الدولة العثمانية لم يبق لها في مصر سلطة فعلية في ذلك الحين.

كتب تاليران Tallyrand[1] في هذا الصدد يقول:" **إن الدوق دي شوازول الذي يعد من بين رجال السياسة الكبار في القرن الثامن عشر أبعدهم نظرا وأقواهم فكرا، كان يسعى سنة 1769م في أن تتنازل تركيا لفرنسا بطرق المفاوضات السياسية عن مصر لتعويض مستعمراتها في أمريكا وتجد في حاصلاتها و تجارتها ما يغنيها عن تلك المستعمرات**"، لكن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ ولم يفاتح شوازول الدولة العثمانية يوما في هذا الصدد، وظل المشروع أملا يراوده إلى أن سقطت وزارته سنة 1770م[2].

ب- تقارير سان بريست ودي توت

في عهد لويس السادس عشر[3] تجددت فكرة شوازول مع الرحالة دي توت Baron Tott De[4] وسان بريست Saint Prriest، فعندما تولى هذا الأخير سفارة فرنسا في القسطنطينية سنة 1768م، قام بدراسة الوضع الراهن للإمبراطورية العثمانية والثورات الممهدة لها للعمل على إضعافها، فكتب عنها عدة مذكرات إلى وزارة الخارجية الفرنسية ضمنها القول

---

[1]- هو القس دي بريجور Deperigord، عاش في طويلا في انجلترا والولايات المتحدة، وفي عام 1782م بعث إلى اسطنبول لمحاولة إقناع السلطان العثماني بالسماح لفرنسا بحكم مصر نيابة عن الدولة العثمانية، نجده اعتلى درجات السلطة – وزير خارجية فرنسا – في جويلية 1793م بحيث أصبح اسمه تاليران المعروف بالوزير الداهية، للمزيد أنظر: أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص90.

[2]- عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص77.

[3]- (1754-1793م)، حفيد لويس الخامس عشر، تولى العرش عام 1774م، واستمر إلى غاية بداية الثورة الفرنسية عام 1789م، شارك في الحروب الأمريكية عام 1776م، اعدم بتهمة الخيانة عام 1793م. أنظر: لويس عوض، الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، ص ص186،185.

[4]- ولد في شاميني سنة 1733م، عين قنصلا لفرنسا في الأستانة عام 1762م، ثم وظفته الدولة العثمانية خلال عهد السلطان مصطفى الثالث في حكومتها، من أعماله تحصين الدردنيل ضد هجمات الروس، إنشاء معامل الأسلحة النارية داخل الدولة العثمانية. ولما استقال من منصبه عاد إلى باريس، له عدة مؤلفات؛ منها مؤلف من ثلاثة أجزاء يتحدث فيه عن الأتراك ، للمزيد أنظر: أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، صص89- 90.

التالي:"**إن مصر توجد في ما يشبه حالة استقلال متميز عن الباب العالي، وعلينا أن نصوب نظراتنا إلى هناك...وأن يأخذ الروس أوكرانيا وتستولي فرنسا على مصر**"[1].

أما دي توت فقد قدم سنة 1776م تقريرا إلى الحكومة الفرنسية بسط فيه رأيه عن حالة الدولة العثمانية وانتهى إلى أنه لا سبيل إلى الحيلولة دون تفككها ونصح الحكومة الفرنسية أن تحتل مصر لتوطيد تجارة فرنسا في الشرق، وجراء هذا التقرير أوفدته فرنسا إلى إسطنبول سنة 1777م[2] بقصد دراسة إمكانية الاستيلاء على مصر بحجة عمل أبحاث فلكية وعلمية، وفي حقيقة الأمر كلف برسم خرائط لشواطئ مصر وسوريا وجزر اليونان وكريت وكذا دراسة النقطة الواقعة في ساحل مصر بين الإسكندرية وأبي قير خاصة، ذلك بمساندة ضابط بحري يدعى سونيني[3]Sounini مهمته قياس عمق النقط المجاورة للساحل للتعرف على ما يصلح منها لرسو السفن وإنزال الجنود إلى البر[4].

ولما عاد دي توت من رحلته قدم إلى الحكومة تقريرا بين فيه مزايا مشروع احتلال مصر وسهولة تنفيذه تحت عنوان "**فحص الحالة الطبيعية والسياسية للإمبراطورية العثمانية**"، ويبدأ هذا التقرير بعرض الأوضاع في الإمبراطورية التي كان على دراية واسعة بأمورها السياسية والعسكرية، وراح يضيف قائلا: "**إن الاستقرار في مصر يجمع بين اهتمامات جلالته وسياسته ويكفي إلقاء نظرة على خريطة مصر لنلحظ في وضعها القريب من أوروبا واسيا وإفريقيا والهند، أنها بمثابة مستودع لتجارة عالمية، فهي تمتاز بمناخ معتدل وأرض محظوظة يرويها أجمل الأنهار، وتعطي أكثر المحاصيل تنوعا وأكثرها وفرة وقيمة، فهي تقع في الزاوية الشرقية لإفريقيا، وقريبة من أثيوبيا، وموانيها في البحر الأبيض المتوسط وفي البحر الأحمر تجعلها تلامس تقريبا أوروبا وأسيا والهند عن طريق**

---

[1]– زينب عبد العزيز: مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين، دار النهار للطباعة والنشر، (د.م.ن)، 1998، صص 109– 110.

[2]– عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص78.

[3]– هو مهندس البحرية الفرنسية، ذهب إلى مصر بأمر من حكومة الملك لويس السادس عشر سنة 1777م، نشرت رحلته الموسومة مصر العليا والوجه البحري، للمزيد أنظر: نفس المرجع، ص 416.

[4]– محمد حسين عبد الغفار: بناء الدولة الحديثة في مصر،ج1، دار المعارف، القاهرة، 1889، صص49– 50.

باب المندب... وفرنسا هي البلد الوحيد بين القوى العظمى التي يمكنها تكوين وتغذية والاحتفاظ بمنشأة للاستقرار بلا أي اعتراضات، وستكون منبع أكبر الثروات بربط البحر الأحمر بفرع النيل القريب منه عن طريق قناة صالحة للملاحة...فإن المزايا الواضحة للوضع الراهن بمصر يكفي لكل تجارة فرنسا بأسرها والطرق الممهدة من القاهرة الكبرى إلى السويس ستكفي لتسهيل عملية استغلال طريق الهند...".

ويختتم قوله:" **وبناءً عليه، فلا يوجد أمام فرنسا سوى خيارين: إما ضمان الإمبراطورية العثمانية وحمايتها من الإنهيار، وإما استغلال فرصة هذا الإنهيار**"[1].

وفي سنة 1781م كتب الكونت سانت بريست من الأستانة يحث حكومته على غزو مصر وخاصة أن هذه الأخيرة كانت خالية من أية تحصينات وقوتها الحربية ضعيفة إلى أبعد الحدود على حسب قوله:" **إن روسيا قد صارت على مقربة من القسطنطينية، وربما استطاعت أن تقضي على تركيا في أوروبا قبل أن تستطيع دولة ما مساعدتها، فعلى فرنسا أن تسرع في احتلال مصر التي لا تكلف فرنسا الكثير؛ لأن مصر خالية من أي تحصين، ولأنه لا يوجد فيها من الجيوش أكثر من خمسة أو تسعة آلاف مملوك، لم يقفوا في ميدان حرب منظمة، وليس لديهم مدفع واحد**"، وفعلا صممت الحكومة على تنفيذ هذه السياسة، وأعدت ثمانية وعشرين ألف جندي لهذه الحملة، وجهزت السفن لنقل هذه القوة إلى الإسكندرية وأبي قير ودمياط"[2]، فنجده يركز على الأهداف الإقتصادية والتجارية لغزو مصر، ويرى أن الدولة العثمانية مآلها السقوط في وقت قريب لا محالة كما بين أنه باستطاعة فرنسا السيطرة على تجارة الهند إذا هي أنشأت قناة تصل البحر الأحمر مع نهر النيل عند فرع دمياط، أو عملت على إحياء الطريق البري بين السويس و القاهرة، وتتمكن بذلك من السيطرة على تجارة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط[3].

---

[1]– زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص113.

[2]– Francois Charles Roux : Les origines de l'Expédition d'Egypte,Paris,1910, p80-100 .

[3]– عبد العزيز نوار سليمان وعبد المجيد نعنعي: التاريخ المعاصر أوروبا، دار النهضة العربية، بيروت، 1974، ص78.

جـ- رحلة فولني

يعبّر فولنيVolney[1] من الرحالة الذين كتبوا عن فكرة الاستيلاء على مصر في كتابه "**رحلة إلى سوريا ومصر**" في الفترة الممتدة ما بين 1783- 1785م والذي يعتبر مرجعا هاما لمعرفة أحوال مصر في أواخر القرن الثامن عشر، حيث ذكر سهولة فتح مصر وضعف مركز المماليك[2] فيها وجهلهم بطرق الحرب الحديثة بحيث لا تتطلب الحملة سوى عدد قليل من الرجال، وقال يصف الإسكندرية:" **إن مصر ليس فيها أية تحصينات، وفنارها مهمل، وإنه ليس في المدينة سوى أربعة مدافع في حالة صالحة وليس بين الحامية الذي يبلغ عددها خمسمائة من يمكنه إصابة المرمى بل جميعهم من العمال العاديين الذين لا يحسنون سوى التدخين**"[3].

ومن النصائح التي قدمها تظهر في أقواله:" **إن الإستيلاء على مصر يجب أن يكون محور السياسة الغربية**"[4] **ولكي تستقر في مصر لابد من شن ثلاثة حروب الأولى ضد انجلترا والثانية ضد الباب العالي، والثالثة وهي أصعبهم جميعا ضد المسلمين الذين يكونون غالبية شعب ذلك البلد**"[5]، كما تحدث فولني عن بؤس الفلاحين المصريين ورأى أن خير علاج لإصلاح حالهم هو خروجهم عن السيادة العثمانية ودخولهم تحت حكم دولة

---

[1]- هو كونستنتان فرنسوا فولنيCounestentane François Volney (1757- 1820م) ولد بمدينة فيترية بفرنسا. للمزيد أنظر: أحمد يوسف، المرجع السابق، ص84.

[2]- المماليك: أصلهم رقيق جلبهم الفاطميون إلى مصر ثم السلاطين الأيوبيون كي يدبروا على الجندية وخدمة السلطان، ارتقى بعضهم إلى مناصب رفيعة في الدولة، أقاموا في مصر دولتين؛ دولة المماليك البرجية والمماليك البحرية، وقد قضى سليم الأول على دولتهم في مصر عام 1517م. للمزيد أنظر: زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط2، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2014، ص ص144،143.

[3]- M.C.F Volney:Voyage en Syrie et en Egypte Pendent les année1783,1784,1785..., vol1, Paris 1786, p135

[4]- محمد رفعت: تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1، المطبعة الأميرية ، (د.م.ن) ،1934، ص23.

[5]- زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص69.

أخرى- بقصد بها فرنسا- تكون صديقة لمصر وذات حضارة ولها نهضة أدبية وعلمية وفنية[1].

د- مشروع ماجلون وتاليران

مهد ماجلون Magallon[2] للتفكير بمشروع الحملة الفرنسية على مصر عند زيارته فرنسا سنة 1797م وأخذ يلح على تنفيذ رغبته باحتلال مصر مبينا سهولة تنفيذه ومؤكدا في نفس الوقت النوايا الحقيقية لبلاده إزاء السيطرة على طريق الهند من خلال البحر الأحمر[3]، وهذا ما يظهر في تقريره إذ يقول:"**إذا أصبحنا سادة البحر الأحمر، فإننا نستطيع تهديد مصالح الإنجليزيين وطردهم من الهند**".

وكان السيد تاليران قد تولى وزارة الخارجية الفرنسية يوم 3 جويلية 1793م وهو الذي اقتنع بآراء ماجلون وأخذ يدافع عنها ويناشد أعضاء المعهد العلمي الفرنسي محاولة لإقناعهم بالمزايا العديدة التي تتيحها الظروف لاحتلال مصر وهي بمثابة الخطوط الأولى للحملة[4]، حيث قال:" **لا شيء أكثر أهمية من اعتمادنا على ألبانيا واليونان ومقدونيا والولايات الأخرى للإمبراطورية العثمانية وفي أوروبا، بل وجميع الولايات المطلة على البحر المتوسط، كمصر خاصة التي يمكنها أن تصبح عظيمة النفع لنا**"[5].

إلتقى تاليران في هذه الفكرة مع نابليون بونابرت الذي أخذ يبحث في أمر الحملة على مصر والتنقيب في سجلات وزارة الخارجية بمساعدة تاليران باحثا عن التقارير والخرائط

---

[1]- محمد حسين عبد الغفار: المرجع السابق، ص55.

[2]- شارل ماجلون Charles Magallon هو تاجر فرنسي أقام بمصر أكثر من عشرين عاما، وكان يشرف على مصالح مواطنيه في القاهرة بعد انتقال القنصلية الفرنسية إلى الإسكندرية عام1777م، ثم أصبح قنصلا عاما لبلاده عام 1793م. للمزيد أنظر: أحمد حسين الصاوي، المرجع السابق، ص17.

[3]- عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط4، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1987، ص33.

[4]- زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص110.

[5]- هنري لورانس وآخرون: الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام، تر بشير السباعي ، ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1955، ص29.

والمشروعات التي قدمت للحكومة في القرنين الماضيين بخصوص الاستيلاء على مصر ذلك للانتقام من انجلترا بشتى الطرق وطردهم من الهند[1].

وفي الوقت نفسه كتب نابليون بونابرت إلى حكومة فرنسا رسالة مطوية يشرح فيها أهمية الحملة على مصر من وجوهها السياسية والحربية والتجارية، وقد نقل ديزيه لاكروا Desire Lacroi في كتابه " **نابليون في مصر** " خطابا بعث به إلى تاليران وزير الخارجية في 13سبتمبر1797م نقتطف منه العبارة التالية: " **إذا فرض علينا الصلح مع انجلترا بالتنازل عن رأس الرجاء الصالح فلا بد لنا من أن نعوضها بالديار المصرية، التي لن تقع أبدا في حيازة دولة أوروبية...وأرجو من الوزير عمل التحريات اللازمة للوقوف على ما يحدثه احتلالنا لمصر من الأثر على حكومة جلالته سلطان تركيا...**"، فأجابه تاليران بخطاب مؤرخ في 23 سبتمبر1797م قال فيه:" **أنه موافق على فكرة الحملة على مصر التي يعوض احتلالها على فرنسا، خسارتها في جزر الأنتيل[2] وتفتح لنا طريق التجارة للهند...**"[3].

وفي 14 فيفري 1798م وقف تاليران أمام حكومة الإدارة ليطرح أمامها مخططه الذي طوره لغزو مصر، عرض فيه تاريخ العلاقات الفرنسية والمصرية وشرح نظام الحكم العثماني الضعيف هناك وبروز المماليك على المسرح السياسي، وأبرز مقومات مصر وتجارتها وموقعها المتوسط، وتحول تجارة الهند إلى طريق السويس القصير المأمون، وتهديم النفوذ البريطاني في الهند نتيجة إعادة إحياء طريق البحر الأحمر، وختم تقريره بالتأكيد على سهولة غزو مصر ونفقاته المعتدلة قياسا بفوائده الجمة[4]، وما يتضمنه هذا المخطط من مميزات

---

[1]– محمد رفعت: المرجع السابق، ص24.

[2]– جزر الأنتيل أو الهند الغربية تقع ما بين أمريكا الشمالية و الجنوبية في المحيط الأطلسي، وفيها أكثر من ثلاثة ملايين من السكان ومنها جزر كوبا وهايتي، وجاميكا وبورتو ريكو، وكلها جزر خصبة غنية بخيراتها، وكانت أول الأراضي التي اكتشفها كولومبس من أمريكا، وقد أصبحت كلها مستقلة مع الولايات المتحدة. للمزيد أنظر: أحمد حافظ عوض، المرجع السابق، ص90.

[3]– نفس المرجع، صص78– 79.

[4]– أحمد طربين: تاريخ المشرق العربي المعاصر، جامعة دمشق، دمشق، 1986، ص32.

بقوله:" **يضمن غزو مصر تحقيق ثلاث فوائد، أولها: إن احتلال برزخ السويس من شأنه قطع إحدى الطرق التي تصل انجلترا بالهند، وثانيها: تكوين قاعدة استعمارية يمكن لها تعويض فرنسا عن كل ما فقدته في حروبها مع انجلترا، وثالثها: تكوين قاعدة للمستقبل من أجل الوصول إلى مورد الغنى الرئيسي لإنجلترا**"[1].

من هذه المخططات والمشاريع يتبين كيف تطورت فكرة احتلال مصر على مر العصور ويوضح شارل رو أن كل ما كانت فرنسا تحتاجه آنذاك هو البحث عن ذريعة لقيام الحملة وكانت الحجة التي تذرعت بها فرنسا لشن حملتها الإستعمارية هي: " **الإهانات التي ألحقها البكوات المماليك بالتجار والباعة الفرنسيين**"[2].

2- أوضاع مصر وفرنسا أواخر القرن الثامن عشر:

أ- مصر

شهدت مصر أواخر القرن الثامن عشر بداية انهيار وتراجع نفوذ العثمانيين في المنطقة، فالسمة البارزة التي ميزت الوضع العام لمصر هو غياب السلطة الفعلية للدولة العثمانية، قابله نفوذ متزايد للمماليك الذين انفردوا بحكم مصر وفي تسيير شؤون البلاد، فطغت سلطتها وسلطة كبيرها شيخ البلد على سلطة الباشا العثماني، كما أن هذا الأخير فقد السيطرة على الحامية العسكرية (كان عددها يتراوح بين12 إلى 15 ألف جندي) التي مع ضعف الدولة العثمانية وتقهقرها انصرفت عن إرسال الجنود، فأصبح لها صفة محلية بعدما لجأ المصريون للمماليك والعرب والشوام والمغاربة لسد الفراغ الذي حدث في صفوف الحامية، كما لم يتوان المماليك علن جلب وشراء أفراد من الخارج لا صلة لهم بالمجتمع والحياة المصرية، وبخاصة من جهة القوقاز إذ إزداد عددها في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر بشكل ملحوظ[3]، وعليه فإن الحملة الفرنسية لم تجد من يتصدى لها غير قوات

---

[1]- بسام العسلي: المرجع السابق، صص87- 88.

[2]- يسرى محمد عبد الهادي الحنفي: أثر الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربية، دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، 2001، صص114- 115.

[3]- محمد حسين عبد الغفار: المرجع السابق، ص20.

المرتزقة المدعمة من المماليك تؤازرها قوى الشعب المصري في ظل عدم وجود جيش نظامي رسمي[1].

وبتولي مراد بك[2] وابراهيم بك[3] الحكم سنة 1792م ازدادت الأوضاع سوءا هذا ما أكده اسماعيل خشاب بقوله:"**عادوا لما كانوا عليه من امتداد يدهم إلى أحوال الناس ..بل تمادوا في غرورهم..**"[4] خاصة الاقتصادية والاجتماعية منها، فالزراعة أصابها شلل كبير جراء سوء تسيير نهر النيل بالإضافة إلى قدم طرق الري المستعملة (الري الحوضي) الذي لا يسمح بزراعة الأرض أكثر من مرة، كذلك التذبذب الشديد الذي كانت تشهده أسعار المنتجات الأساسية خاصة القمح الذي أثّر سلبا على الحياة العامة.[5]

وعلى الصعيد المالي واجهت مصر في العقد الأخير من القرن الثامن عشر صعوبات كبيرة في هذا الجانب نجم عن تدهور قيمة العملة النقدية التي كانت متداولة وهي البارة والقيمة التبادلية بينها وبين العملات الذهبية والفضية.

أما الصناعة فقد أصابتها انتكاسة وأصبحت لا تمثل إلا دورا ثانويا وضئيلا بالنسبة للدخل القومي وذلك بسبب:

- عزلة مصر في العهد العثماني سياسيا وفكريا واقتصاديا مما أدى إلى إصابة الصناعة بالجمود.

---

(1)- محمد حسين عبد الغفار: المرجع السابق، ص14.

(2)- من مماليك محمد أبو الذهب، ولما توفي هذا الأخير أصبح يحكم مصر إلى جانب ابراهيم بك، وقد توفي عام 1800م. للمزيد أنظر: نقولا الترك، ذكر تملك جمهورية الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، تحقيق وتقديم ياسين سويد، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1990، ص27.

(3)- هو أكبر أمراء محمد أبو الذهب ، ولي الحكم في مصر أثناء غياب أبو الذهب، استمر في حكمها بعد وفاته مناصفة مع مراد بك، توفي ببلاد النوبة بسبب مطاردته من قبل محمد علي. للمزيد أنظر: نفس المصدر، ص27.

(4)- اسماعيل الخشاب: المجموع في أخبار الثاني عشر تذكرة لأهل البصائر والأبصار مع وجه الإختصار، (مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية الرقمية)، رقم (850)، 1874، ص26.

(5)- محمد حسين عبد الغفار: نفس المرجع، ص20.

– تأثر الصناعة بالإنحطاط العام حينما أهمل العثمانيون القيام بخطط اقتصادية ومشاريع طويلة المدى، وانصرفوا إلى العمل على الإبقاء على حالة التوازن الدقيق بين القوى الحاكمة.

أما بالحديث عن المجتمع المصري فإن تدهور الاقتصاد والزراعة بشكل أخص بما أنها مثلت لعقود مضت شريان الحياة في مصر، أثر فيه سلبا فتناقص عدد السكان من أربعة ملايين إلى نحو مليونين ونصف سنة 1800م وهذا ناتج عن موجة الجفاف والمجاعات التي كانت تضرب مصر دوريا، هذا من جهة أما من جهة أخرى فلم يعمل العثمانيين على الانصهار في المجتمع المصري وفهم خصوصياته ومتطلباته، وإذا ما تفحصنا حالة المجتمع المصري أواخر العهد العثماني نجد أنه أصبح ينقسم إلى ثلاث أجناس متمايزة هي: الترك العثمانيين، المماليك، المصريين، ولم يكن هناك توازن بين هذه الأعراق من الناحية العددية، ولا من الناحية الوظيفية الإجتماعية، ومع ذلك فقد تكاملت هذه الأجناس في شكل هرمي وانفصلت كل منها عن الأخرى انفصالا تاما[1].

ب– فرنسا

بحلول أواخر القرن الثامن عشر كانت فرنسا قد فقدت مكانتها السياسية والعسكرية لصالح بريطانيا التي ألحقت بها هزيمة منكرة في حرب السنوات السبع، ومن هذا الباب كانت الملكية الفرنسية غارقة في هزائمها التي لم تقوى على علاجها في عهد لويس الخامس عشر ولا من بعده حين خلفه حفيده لويس السادس عشر، ففي فترة حكم هذا الأخير ازدادت الأمور سوءا بدءا بالعجز المالي الذي أصاب الخزينة العمومية، النظام الإجتماعي القائم على الطبقية، تخلف التجارة والصناعة المحلية مقارنة بالتقدم الملحوظ الذي أحرزته بريطانيا في هذا المجال[2].

---

[1]– محمد حسين عبد الغفار: المرجع السابق، ص32– 33.

[2]– جرانت وهارول تمبرلي: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، تر بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (د.ت)، ص17– 39.

أمام هذه الأوضاع المتردية، بدأت تظهر بوادر التغيير التي قادها المفكرون والفلاسفة وترجمتها الطبقة الوسطى الناقمة على نظام الحكم الملكي على شكل ثورة (1789-1799م) تحت شعار الحرية، المساواة والإخاء، هذه الثورة وإن أفلحت في إسقاط النظام الملكي بإعدام الملك لويس السادس عشر عام 1793م[1] وإقامة الجمهورية، إلا أنها واجهت تحديات داخلية وانقسامات بين الطبقات السياسية في البلاد، وأخرى خارجية على إثر توسعات نابليون في القارة الأوروبية متخذا من شعار تصدير أفكار الثورة مبدءا له، فشن حملة على إيطاليا، وعلى مالطة، كما رأت فرنسا أنه من الضروري توجيه ضربة عسكرية مباشرة لإنجلترا في أواخر 1796م، إلا أن هذه التجربة باءت بالفشل على هذا تقرر ضرب انجلترا في مستعمراتها وطردها من الهند خصوصا، بشن حملة على مصر 1798م تقطع من خلالها الطريق أمام الإنجليز[2].

المطلب الثاني: الدوافع الحقيقية للحملة الفرنسية على مصر

1- الدوافع السياسية:

أ- التنافس الإنجليزي الفرنسي

إتفق عديد المؤرخين أن الحملة الفرنسية تعتبر دورا من أدوار التنازع الذي قام بين فرنسا وانجلترا على التوسع والإستعمار، ذلك الصراع الذي يرجع جذوره إلى قرون مضت واستفحل أكثر خلال القرن الثامن عشر، ثم اتخذ طورا جديدا بعد الانقلاب العظيم المعروف بالثورة الفرنسية[3].

هذا وقد كانت طموحات انجلترا تعادل الطموحات الفرنسية خاصة في الثلث الأخير من القرن الثامن، لأهمية مصر الجغرافية كونها حلقة وصل بين الهند وبريطانيا، إضافة إلى

---

[1]- جرانت وهارولد تمبرلي: المرجع السابق، ص39.

[2]- اسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، (د.م.ن)، 1997، صص204- 205.

[3]- عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص73.

رغبة التجار الإنجليز الأحرار في فتح طريق بين الهند وميناء السويس[1]، ونظرا للخطر المحدق قال اللورد قاثم Ghatham في خطاب موجه إلى البرلمان الإنجليزي في ديسمبر1792م:"...**إن الشيء الوحيد الذي تخشاه انجلترا هو رؤية فرنسا قوة بحرية تجارية واستعمارية**"، وفي خطاب آخر إلى البرلمان الإنجليزي في السنة نفسها حذر أوركهردت Urquhardt من خطورة التخلي عن البحار، حيث قال:" **البحر يخدمنا ويهددنا في الوقت نفسه، يحمينا، ويحاصرنا...ستكون انجلترا ضحية البحر في اليوم الذي تتخلى فيه عن سيادته...**"[2]، بحيث كانت انجلترا تخشى أن تسيطر فرنسا على أحد أجزاء الإمبراطورية العثمانية وتبتلعها لأن هذا يخل بالتوازن الدولي ويجعلها قوة خطيرة في أوروبا، وكانت بريطانيا لها مصالح تجارية كبيرة مع دول هذه الإمبراطورية، وأصبحت السياسة البريطانية في ذلك الوقت تقوم على أساس المحافظة على الإمبراطورية العثمانية من كل خطر يهدد كيانها[3]، فكان كل ما يهم انجلترا هو حماية مصالحها التجارية في الهند هذا ما أكده داناس Dunas في كتاباته إلى حكومته يقول:" **إن استيلاء أي دولة مستقلة على مصر سيكون ضربة قاضية بالنسبة لمصالح انجلترا**"[4].

وفي جو هذا الصراع بعث نابليون برسالة إلى وزير الخارجية تاليران في 1797م حيث قال:" **لدينا حرب مع انجلترا...وستعمل من أجل تجديد التحالف ضدنا...يجب على حكومتنا أن تخرب الملكية الإنجليزية**"[5]، وقد استمرت الفكرة قائمة في مطلع عام1798م لتجهيز ما أطلق عليه الحملة الكبيرة على إنجلترا[6]، ولكن بعد أن أبلغ نابليون حكومة الإدارة في شهر فيفري 1798م بتقرير مفصل تراجعت عن الفكرة بقوله:"...**لقد بذلنا بعض الجهود للحصول على التفوق البحري، غير أننا لا نزال بعيدين عن بلوغ هذا الهدف الذي يتطلب العمل**

---

(1)– إسماعيل أحمد ياغي : العالم العربي.....، المرجع السابق، ص192.

(2)– Ahmed Chafik Pacha: L'Egypte moderne et les influense étrangères,Imprimerie MISRE S.A.EleCaire,1931,p11.

(3)– أحمد طربين: المرجع السابق، صص56– 57.

(4)– عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.م.ن)،2007، ص64.

(5)– Albert Sorel : Bonaparte et Hoche en1797, Plon, Paris, 1896, p94.

(6)– إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي.....، المرجع السابق، ص205.

سنوات عديدة، وستكون عملية الإنزال في انجلترا من أخطر العمليات وأقساها ما لم يتوافر لفرنسا التفوق البحري"[1]، وقد استنتج ذلك بعد قيامه بجولة استطلاعية متفقدا استعدادات الحملة ضد الإنجليز في الفترة الممتدة من8 إلى 20 فبراير1798م، كما توقع أن تكون خسائر الأسطول الفرنسي كبيرة دون التوصل إلى الهدف المنشود، واقترح ضرب انجلترا بطريقة غير مباشرة بتوجيه الحملة إلى مصر فوافقت حكومة الإدارة لإدراكها أنها لا يمكن التغلب عليها إذ بقيت تتصارع معها في القارة الأوروبية[2].

وهذا ما يتضح في ديباجة القرار الذي أصدرته حكومة الديركتوار[3] بتاريخ 12 أفريل 1798م[4] تحدد من خلالها مهمة الجنرال بونابرت بغزو مصر برا وبحرا، وطرد الإنجليز من جميع البلاد الشرقية التي يستطيع الوصول إليها، وهدم مراكزهم التجارية في البحر الأحمر مع تكليفه بحفر برزخ السويس واتخاذ كافة الوسائل اللازمة لضمان امتلاك فرنسا للبحر الأحمر[5].

كما شجعت التقارير التي كتبت عن مصر والدولة العثمانية للحكومة الفرنسية على التفكير الجدي في غزو مصر مستغلة ضعف الباب العالي، وما عليه من فوضى وانحلال[6]، والتي تؤكد في نفس الوقت أن الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مصر متدهور والبلد يعاني فراغا سياسيا لعدم وجود سلطة فعلية قوية نتيجة النزاع المتواصل بين المماليك والسلطة العثمانية الممثلة في الباشا والحامية الإنكشارية من جهة والمماليك

---

(1)– بسام العسلي: المرجع السابق، ص87.

(2)– Narbonne Bernard :La diplomatie du directoire et Bonaparte, d'après les papiers inédits du rebelle,la neuvelle édition, impremerie de Midi,Paris,1951,p151

(3)– يطلق إسم حكومة الديركتوار على الحكومة التي تأسست في فرنسا على نظام دستور سنة 1795م. للمزيد أنظر: عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ج1، ص73.

(4)– للإطلاع على المرسوم الذي أصدرته حكومة الديركتوار بتعليماتها إلى نابليون بونابرت للقيام بالحملة على مصر، أنظر ملحق رقم01، ص137.

(5)– محمد فيصل عبد المنعم: مصر تحت السلاح، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، (د.ت)، ص129.

(6)– M .Ventrary : Journal d'un officier de l'arme d'Egypte, l'arme francaise en Egypte(1798-1801), Manuscrit mise en ordre et publier par H.Galli , G.Charpentier éditeur, Paris, 1883, pp196- 197.

بعضهم البعض من جهة أخرى الشيء الذي حفز وشجع الفرنسيين على التخطيط في إمكانية الاستيلاء على مصر[1].

ب- تكوين مستعمرة:

كانت فكرة إنشاء دولة شرقية فرنسية عظيمة في مصر حلما ظل يراود حكومة الإدارة بقيادة نابليون، ورغبة منهم في جعلها قاعدة تضم حوض البحر المتوسط على النمط الروماني القديم لتتطور وتصبح القيصرية والإمبريالية[2]، ذلك تقليدا للقيصر الروماني والإسكندر المقدوني في فتوحاتهما الواسعة[3]، وهذا ما أكده فرانسوا شارل رو في مقالته"**الهدف الاستعماري للحملة الفرنسية على مصر**" التي نشرت عام 1924م في مجلة الدراسات النابليونية في المجلد 22 بتاريخ 13 جانفي:" **سعى نابليون لإنشاء مستعمرة فرنسية في مصر لإستغلال خيراتها على نحو ما فعل الرومان قبل ذلك...وفتح الباب أمام البلاد المجاورة لمصر في آسيا وإفريقيا لفرنسا**"[4].

والدليل الذي يؤكد على الرغبة في تحويل مصر إلى مستعمرة فرنسية نجده في الحملة ذاتها وما حملته من وسائل الإستكشاف والتنقيب، سواءً من علماء، صناع، آلات، مطابع ومترجمين[5]، وفي هذا الصدد قال أحد المؤرخين: " **كان هدف حملة بونابرت على مصر تحويل مصر إلى مستعمرة لفرنسا تجني من ورائها كسبا ولتحقيق هذا الهدف لم تكن اللجنة العلمية أقل أهمية من الجيش**"[6]، ثم يضيف الجبرتي قائلا: "**...ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل العقارب الناصرية أبنية وكرانك وأبراجا، وصنعوا فيها عدة من**

---

[1]- الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288- 1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص174.

[2]- أحمد طربين: المرجع السابق، صص30- 31.

[3]- عبد الرحمن الرافعي: الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، ط6، دار المعارف، (د.ت)، ص73.

[4]- فرج محمد الوصيف: مصر بين حملتي لويس ونابليون، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص108.

[5]- الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية.....، نفس المرجع، ص174.

[6]- زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص18.

آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه، وهدموا عدة دور من دور الأمراء وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم..."[1].

جـ- أطماع نابليون الشخصية

راودت القائد الفرنسي آمالا كبيرة في الاستيلاء على مصر بعد ذهابه إلى أوروبا وهذا ما يظهر في أقواله: "**ليست أوروبا سوى تل صغير...كل شيء هنا يبلى مع الزمن، لقد انقضى ما كسبت من مجد، وأوروبا الصغيرة هذه لا تتيح مجالا كافيا للأمجاد، فلا بد إذن من الذهاب إلى الشرق لأن كل مجد عظيم لم يظفر به أصحابه إلا في الشرق**"، كما يثبت ذلك ما كتبه وهو في سجنه في جزيرة سانت هيلانة: "**...كنت أشعر يومها أن الأرض تجرى من تحتي كأنني أحمل إلى السماء حملا وفي مصر شعرت أنني أستطيع الإستسلام للأحلام الزاهية**"، وكتب أيضا: "**...وفي مصر وجدت نفسي وقد تحررت من قيود حضارة مزعجة ...كانت الأحلام تملأ رأسي أرتني أزحف على آسيا وأنا أمتطي فيلا وعلى رأسي عمامة وفي يدي الدين الجديد الذي كنت سأعتنقه ليلائم حاجاتي، وكنت أرى نفسي أهاجم قوة انجلترا في الهند فأجده بهذا الفتح الاتصال بأوروبا القديمة، لقد كانت الفترة التي قضيتها في مصر أجمل فترات حياتي لأنها كانت أحفلها بالأحلام..**"[2] وتابع يقول: "**سأستعمر مصر وأستورد الفنانين والعمال من جميع الأنواع والنساء والممثلين، وإن ستة سنوات تكفيني لأصل إلى الهند لو سارت الأمور سيرا طيبا**"[3]، وقد كان بونابرت متحمسا لغزو مصر فقال: " **سأنفخ روح الثورة في بلدان الشرق التي أرهقتها المظالم، وأزحف إلى دمشق فحلب، فينضم المظلومون إلى جيشي في كل مدينة وقرية أصل إليها، أدق باب القسطنطينية، وأطيح بالإمبراطورية التركية، وأنشىء في الشرق إمبراطورية عظمى جديدة تكون موضع إعجاب الأجيال المقبلة، وتحدد مركزي في التاريخ، وقد أعود إلى باريس عن طريق أدرنة وفينا بعد أن أكون قد قضيت على البيت المالك في النمسا**"[4]، هذا من جهة

---

[1]- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم و الأخبار ، ج2، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص163.

[2]- نفس المصدر، ص126.

[3]- محمد جلول كشك: ودخلت الخيل الأزهر، ط3، الزهر للإعلام العربي، القاهرة، 1990، ص125.

[4]- محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص67.

أما من جهة أخرى فقد أشارت عديد المصادر إلى أن الحكومة الفرنسية رغبت في إبعاد نابليون عن فرنسا لطموحاته التي تشكل خطرا كبيرا عليها وخشية من نفوذه بعد انتصاراته في أوروبا التي زادت محبة الناس وتقديرهم له و خوفا منها أن يقوى بعدها مركزه السياسي في فرنسا بالتالي تم إبعاده من أوروبا بموافقتها على شن الحملة على مصر[1].

2- الدوافع الإقتصادية:

كان الغرض وراء مجيء الحملة الفرنسية كما قال بونابرت هو: " **كسر شوكة الإنجليز في الشرق، إذ لا طريق غير وادي النيل للجيش الذي يناط به أداء هذه المهمة الخطيرة، وتغيير مجرى الأحوال في الهند، وكان لا بد في إصابة هذا الغرض من حلول مصر محل سان دومنج وجزر الأنتاس، والتوفيق بين حرية العناصر السوداء و مصالح صناعتنا، وكان بديهيا أن يفضى الإستيلاء على مصر إلى ضياع جميع المستعمرات الإنجليزية في أمريكا والهند، وأنه متى أصبح الفرنسيون أصحاب الكلمة العليا في مرافئ ايطاليا، وجزيرة كرفو، وجزيرة مالطة، والإسكندرية، صار البحر الأحمر والأبيض المتوسط لا محالة بحيرة فرنسية**"[2]، ومن خلال هذا القول نجد أن فرنسا نفذت الحملة لتمهيد الطريق لقهر الإنجليز وطردهم من الهند أواخر القرن الثامن عشر[3]، لأنها العماد الرئيسي للقوة الإنجليزية، فعبر شباكها التجارية تفتح أمام الأوروبيين مجمل الأسواق الأسيوية بعد الثورة الصناعية الإنجليزية ونجد إنجلترا تسيطر على 85 إلى90% من تجارة الهند الخارجية[4]، وإذا تم السيطرة على الهند تضرب فرنسا الأسطول الإنجليزي في الشرق الأدنى[5] – وذلك نظرا لصعوبة محاربتها في عقر دارها– وتسيطر على أوروبا كلها ذلك بتحويل التجارة

---

(1)– M .Mignet :Histoire de la révolution française depuis1789jusqu'en1814,T2,librairie de Firmin Didot fréres, Paris,1851, p221.

(2)– محمد صبري: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، دار الكتب المصرية، (د.م.ن)، 1926، ص24.

(3)– عمر الإسكندري وسليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة سفدج، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص87.

(4)– هنري لورانس و آخرون: المرجع السابق، ص28.

(5)– عمر الإسكندري وسليم حسن: نفس المرجع، ص87.

الشرقية إلى برزخ السويس والبحر الأبيض المتوسط، بدلا من طريق رأس الرجاء الصالح الذي تتحكم فيه بريطانيا[1].

3- الدوافع الثقافية:

إلى جانب الأسباب المذكورة سالفا رغبت فرنسا كشف مصر علميا وإدخال مبادئ المدنية الحديثة بهدف تمدين مصر والإعلان على أنها مرشدة للعالم لأخذ الشعوب إلى الحرية والمدنية حاملة لواء العدل المساواة والإخاء ومنقذة الشعوب من الجهل والاستعباد، ومن أجل ذلك حضر مع الحملة أكثر من مائة عالم واختصاصي من كبار علماء فرنسا لمساعدة بونابرت في أعمال البحث والتنقيب وفي هذا السياق قال تاليران:" **إني أرى في الحملة موارد عظيمة لتجارتنا وكنزا وذخيرة للعلوم**"[2].

لكن الأدلة التاريخية تثبت أن حلم نابليون كان سرقة آثار مصر لإثراء التراث الفرنسي في المجالين الفني والعلمي، والاستيلاء على القطع الفنية لتزيين متاحف فرنسا، ولذا أضفى الطابع الفني والعلمي على الحملة مع اللجنة العلمية التي اصطحبها بونابرت هذا ما وضحه فرانسوا شارل رو:" **إدخال فنون أوروبا إلى نصف شعب همجي ونصف متحضر، بلا صناعة وبلا تنوير علمي، وأخيرا الكشف لأوروبا عن مصر القديمة ومصر آنذاك، مصر الفراعنة واليونان والرومان ومصر المماليك**"، وهو الأمر الذي يعني بداية فرض عملية التغريب واقتلاع الجذور والتراث[3]، لأنه في نظر فرنسا أن انتشار اللغة الفرنسية في الشرق العربي كفيل بولاء أبناء البلاد لفرنسا فتحكم بذلك قبضتها على البلاد العربية وتعزز من احتلالها للبلاد بعد نشر ثقافتها داخل البلاد[4].

---

[1]- أحمد طربين: المرجع السابق، ص30.

[2]- محمد رفعت: المرجع السابق، ص26.

[3]- زينب عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص166.

[4]- يسرى محمد عبد الهادي الحنفي: المرجع السابق، ص28.

أما الدافع الديني يكمن حين أرسل نابليون مونجMonge[1] قبل تنفيذ الحملة إلى الفاتيكان ليأخذ من لجنة التنصير هناك مطابع اللغات اليونانية، العربية والسريانية بكامل هيأتها من معدات وأحرف وعمال الطباعة، إضافة إلى الخرائط والوثائق وغيرها من الوسائل لأنهم أدركوا أن الدين الإسلامي هو العقبة الأساسية لاستقرار السلطات الفرنسية في مصر[2]، كما حاول نابليون تحقيق أحلام فرنسا الصليبية في القضاء على الدين الإسلامي في عقر داره ونشر الدين النصراني الكاثوليكي، وذلك بعد فشل الحملات الصليبية المتكررة في القرون الوسطى[3] خاصة حملتا لويس التاسع التي جعلت الفرنسيين يفكرون بالثأر لهزيمة ملكهم على أيدي المصريين في معركة المنصورة سنة1250م[4].

[1]– هو جاسبار مونج Gaspard Monge (1746– 1818م) أكبر الرياضيين بفرنسا وهو مؤسس الهندسة الوصفية وأحد مؤسسي مدرسة الهندسة فرنسا وأحد أساتذتها المشهورين، عضو بالمجمع العلمي، وقد تلقى عليه نابليون علوم الطبيعة في مدرسة باريس الحربية، عينه نابليون في عهد الإمبراطورية عضوا بمجلس الشيوخ، ومنحه لقب كونت بيلوز تذكارا لأعماله وأبحاثه في مصر، له مؤلفات ومذكرات عديدة في العلوم الرياضية وخاصة الهندسة وباسمه سميت حارة مونج بالناصرية بجوار المدرسة حاليا، للمزيد أنظر: عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ج1، ص123.

[2]– فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص109.

[3]– يسرى محمد عبد الهادي الحنفي: المرجع السابق، ص28.

[4]– محمد فيصل عبد المنعم: المرجع السابق، ص128.

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية على مصر

المطلب الأول: البعد الإستعماري من الحملة الفرنسية على مصر

1- المخلفات السياسية:

بعد انتهاء الحكم الفرنسي في مصر إستمر التنافس القديم بين المماليك الذين انقسموا إلى ثلاثة أطراف: أنصار بزعامة عثمان بك البرديسي الراغبين في الحصول على دعم الإنجليز، أنصار بزعامة محمد بك الألفي الذي يفضل الاستنجاد بفرنسا، أنصار بزعامة عثمان بك الذي يطالب بالحياد مع الدولة العثمانية.

وبذلك اختلفت الآراء السياسية وتكاتفت هذه العوامل على إضعاف قوة المماليك والتمهيد للإطاحة بهم نهائيا[1]، فسقوط مشروعية حكم المماليك كحماة للوطن جعل مصر تعاني بعد خروج الحملة من حالة فراغ سياسي بالرغم من وجود ثلاث قوى، فهناك المماليك الذين يطمعون في العودة لنهب واستنزاف خيرات البلاد مجددا بمساندة بريطانيا لتستفيد منهم، وهناك أيضا العثمانيون الذين يعتبرون مصر جزءا عزيزا من إمبراطوريتهم ومصدر دخل لخزينتهم وهم الذين أنقذوها من الفرنسيين، وكان هناك أخيرا الإنجليز المتربصون لفرض سيطرتهم وتأمين طرق مواصلتهم إلى الهند والشرق وهذا ما اضطرها للخروج من مصر عام 1803م بعد توقيع صلح أميان مع فرنسا[2]، وهكذا عاد العثمانيين إلى مصر وبدأوا بإبعاد أمراء المماليك عن الحكم كما عينوا الولاة الواحد تلو الآخر وكان آخرهم خورشيد باشا.

---

[1]- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1990، ص114.

[2]- اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر: تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ، الرياض، 1993، ص20.

لكن أمراء الشعب انتخبوا محمد علي[1] ليكون واليا عنهم وتم تعيينه بعد إصدار مرسوم من طرف الدولة العثمانية عام 1805م[2] وذلك نظرا للظروف المتردية التي كانت تعيشها آنذاك- الحركة الوهابية[3] التي هاجمت العراق 1802م[4]، فمهدت له بذلك إقامة دولة حديثة على النمط الأوروبي من خلال المؤسسات التي وضعها في مصر لإضفاء الشرعية على الوجود الفرنسي فيها[5].

- عدم بلوغ الفرنسيين غايتهم وتحقيق أغراضهم لإنهيار آمالهم في تشييد تلك المستعمرة الجميلة التي كانوا يحلمون باتخاذها نواة لإمبراطوريتهم الإستعمارية الجديدة في الشرق[6]، ولا هي حققت شيئا من مشاريع حكومة الإدارة العسكرية والسياسية، فقضى انهزام جيش الشرق على كل أمل في غزو الهند والإنتقام من الإنجليز، ومن جهة ثانية الزحف عن طريق القسطنطينية ونهر الدانوب في قلب أوروبا وتحطيم أعداء الثورة تحطيما لا قيامة لهم من بعده، ولاهي مهدت لبونابرت طريق الشهرة والخلود، ولا أضفت على القاهرة ضوءا ساطعا من المجد والفخار[7].

---

[1]- ولد في مدينة قولة بمقدونيا سنة 1769م وكان والده ابراهيم أغا من أصل ألباني من عائلة صغيرة، توفي وتركه في كفالة عمه طوسون، ونشأ في كنف حاكم قولة الذي كلفه في بعض أعماله التجارية، ثم انضم في سلك العسكرية وبلغ رتبة البوزباتشي، وشارك في حملة قبطان حسن باشا التي جردتها الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر وأصبح الأميرلاي عام1801م. للمزيد أنظر: اسماعيل سراج الدين، تحديث مصر في عصر محمد علي، اعداد وتحرير يونان لبيب رزق ومحسن يوسف، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 2007، ص22.

[2]- اسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر: المرجع السابق، ص21.

[3]- سميت نسبة إلى مؤسسها محمد عبد الوهاب(1703-1792م)، وهي حركة إصلاحية، ظهرت في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر والتي صارت تعرف باسم الدعوة الوهابية، من مبادئها التوحيد. للمزيد أنظر: اسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي....، المرجع السابق، ص87.

[4]- يوجين روجان: العرب من الفتوحات إلى الوقت الحاضر، تر محمد ابراهيم الجندي، ط1، كلمات عربية، القاهرة، 2011، ص91.

[5]- عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص102.

[6]- اسماعيل أحمد ياغي: نفس المرجع، ص218.

[7]- محمد فؤاد شكري: الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص611.

– فقدان فرنسا سيادتها في الشرقين الأدنى والأوسط بينما إستفادت انجلترا من هذا التراجع الفرنسي وانحسار نفوذها[1]، وبالرغم من ذلك ظل نابليون بعد جلاء الحملة يولي المشرق أهمية وعناية في سياسته فعمل على إرسال مبعوثيه إلى أمراء بلاد المشرق لجمع المعلومات ودراسة سياسات القوى فيه، ففي عام 1802م قام نابليون بإرسال مبعوثيه إلى مصر لدراسة أوضاعها وفي العام التالي توجهت قوة بحرية فرنسية من سبع سفن يقودها "**دايكن**" لاستطلاع شؤون المنطقة، كما حاول الإتفاق مع روسيا على إقتسام أملاك الدولة العثمانية[2].

– أظهرت الحملة الفرنسية على مصر منطقة الشرق الأوسط ومصر خاصة، منطقة ذات أهمية استراتيجية كبرى للقوى العظمى[3] لعدم تعرض الولايات الخاضعة للحكم العثماني لأي اعتداء سافر من جانب القوى الأجنبية منذ1517م بدخول العثمانيين إليها[4].

– فتحت الحملة الباب أمام انجلترا لبسط نفوذها في أجزاء متفرقة من الشرق الأدنى فاحتلت جزيرة بريم في مدخل البحر الأحمر ثم احتلت عدن، وبدأت توطد العلاقة والصداقة مع العراق وسلطنة عمان[5] التي انتهت بالاحتلال البريطاني لمصر في عام1882م ذلك بعد فشل حملة فريزر على مصر عام1807م، فقد ظلت بريطانيا تقف أمام استقلالها بمعارضتها مشروعات محمد علي والوقوف أمام أطماعه لأنها شعرت بأنه مصدر تهديد لمصالحها الحيوية في المنطقة ولا سيما بالنسبة لخطوط مواصلتها التي تربطها بالهند والشرق الأقصى، فأجبرته على الانسحاب من المناطق التي استولى عليها كما كانت هي المسؤول الأول على معاهدة لندن عام 1840م التي فرضت على مصر نوعا من الوصايا

---

[1]– محمد حسين عبد الغفار: المرجع السابق، ص103.

[2]– يسرى محمد عبد الهادي الحنفي: المرجع السابق، ص101.

[3]– عمر عبد العزيز عمر: دراسات.....، المرجع السابق، ص136.

[4]– إسماعيل سراج الدين: المرجع السابق، ص17.

[5]– محمد حسين عبد الغفار: نفس المرجع، ص104.

الدولية، ووضعت هذه التسوية حدودا لمصر كما حددت وضع مصر الدولي حتى إعلان الحماية سنة 1914م[1].

ظنت حكومة الإدارة أنها لن تلقى مقاومة من جانب المصريين لميلهم إلى الهدوء وصبرهم على مظالم الحكام ما أكده تاليران في تقريره:"**إن الشعب المصري سيتلقانا باحترام لأنه يأمل من زمن مديد أن يتخلص من حكامه الظالمين**"، لكن الحوادث قد خيبت ظنونهم فإن المقاومة التي لقيها الفرنسيون من جانب الأهالي كانت أشد من مقاومة المماليك التي انفتح مداها في أنحاء القطر المصري نتيجة اشتداد روح القومية وشعور المقاومة الأهلية في نفوس المصريين[2].

3- الآثار الاقتصادية:

حرص الفرنسيون منذ دخولهم مصر على جمع كل ما يمكن أن يضعوا أيديهم عليه من أموال لتكون الدخل الأساسي لدفع مستلزمات الحملة وتوابعها، باتباع وسائل عنيفة بمصادرة أملاك البكوات المماليك، وفرض القروض الإجبارية وإنشاء مصلحة التسجيلات وإدارة أملاك الحكومة، ومحكمة القضايا وغير ذلك[3]، تقوم على أساس الفكر الغربي ليضمن تمويل الوجود الفرنسي في مصر، خاصة بعد إعادة تنظيم الشبكة التجارية والضريبية المصرية 10 سبتمبر 1798م وإنشاء محكمة تجارية في القاهرة وفي الإسكندرية ورشيد ودمياط، وكان أعضاء هذه المحكمة تجار يمارسون وظائفهم بلا مقابل، وتجرى تغطية النفقات عبر رسم قضائي نسبته القصوى وصلت 2% من المبالغ المتحصلة من الأحكام[4].

أدت هذه الإجراءات إلى استياء المصريين الشديد خاصة بكساد التجارة وانتشار البؤس بين طبقات الشعب وارتفاع الأسعار ما اضطر الشعب إلى ترك قراهم وإهمال مزروعاتهم

---

[1]- عمر عبد العزيز عمر: دراسات.....، نفس المرجع، ص137.

[2]- عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، صص155- 156.

[3]- محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص550.

[4]- هنري لورانس وآخرون: المرجع السابق، ص290.

والبعض الآخر من أصحاب المتاجر اضطروا إلى امتهان الحرف الدنيئة في هذا الصدد يقول الجبرتي: " **وأما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة فأكثرهم عمل حمارا مكاريا حتى صارت الأزقة خصوصا جهات العسكر مزدحمة بالحمير التي تكرى للتردد في شوارع مصر وحتى أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار دون حاجة سوى أن يجرى به مسرعا في الشارع**"[1].

ولهذا حاول الفرنسيون الاهتمام بالزراعة لإنتاج الغلات التي تحتاج اليها في أرجاء البلاد ذلك بإنشاء مصنع للأقمشة وهذا ما يظهر جليا في الرسالة التي وجهت إلى وزير الحربية الفرنسية في 24 سبتمبر"...**ولذلك فقد بات ممكنا الحصول في زمن قصير على الاقمشة اللازمة للجيش...فصنع رجال الحملة الصابون من الزيوت المصرية، ونجح المواطن فاندر فلدت في صنع البيرة**"، إضافة إلى إنشاء علاقات تجارية واسعة مع البلدان المجاورة، فعمل على توحيد فئات النقل المائي في داخل البلاد واصلاح قناة الاسكندرية واصلاح الطرق البرية وحفر قناة جديدة بين دمياط وقلعة النصاري[2]، كما عمل مينو[3] على تنشيط التجارة بين مصر وفرنسا فأجاز للتجار الذين يستوردون بضائعهم من فرنسا أو يصدرونها من مصر أن يدفعوا نصف الضريبة الجمركية[4].

وكان ذلك كله من أجل إحياء التجارة، التي ساءت أحوالها في البلاد، يقول الرافعي في هذا الصدد: " **يتبين من كل ما تقدم أن حالة مصر الاقتصادية والمالية قد ساءت في عهد الحملة الفرنسية، وتقهقرت الزراعة، وكسدت الصناعة، وبارت التجارة، وبالرغم من زيادة الضرائب والإتاوات والمصادرات فقد نقص دخل الحكومة عما كان قبل الحملة،**

---

[1]– عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج3، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص45.

[2]– محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، صص 252– 253.

[3]– Menou(1750–1810م) اسمه الكامل جاك فرانسوا دي بوسيه، قاد الجيش الفرنسي في مصر بعد مقتل كليبر عام1800م، اعتنق الإسلام وحاول وضع سياسة تعاون مع المصريين لكنها فشلت، هزم على يد الإنجليز في 1801م بالقرب من أبي قير فاضطر للجلاء عن مصر في نفس السنة. أنظر: نقولا الترك، المصدر السابق، ص32.

[4]– نفس المرجع، ص243.

وعانت البلاد من كل ذلك أشد ما يمكن تصوره من الضيق، وأخذ الضنك يشتد بالناس يوما بعد يوم، وابتدع الفرنسيون اتاوات وغرامات جديدة في عهد كليبر ومينو"[1].

لكن تلك المشروعات مهدت للإصلاح من أجل لفت الأنظار إلى أهمية طريق مصر البري لنقل المسافرين والبريد والسلع بينها وبين الهند، فزادت حركة التجارة العابرة، وأدت إلى نشاط الخط الحديدي من الإسكندرية إلى القاهرة ثم من القاهرة إلى السويس، فزادت حركة المرور[2] حتى انتهى بها الأمر إلى التنافس الأجنبي الذي كان سببا في تدفق رؤوس الأموال الأجنبية في شكل شركات رأسمالية كبرى في مقدمتها شركة قناة السويس، وفي شكل قروض أدت إلى تدخل مباشر في شؤون الإدارة المصرية[3]، بعد حفر القناة وفتح الملاحة البحرية عام1869م.

4- النتائج الاجتماعية:

أ- التجاوزات الإستعمارية

خلفت الحملة الفرنسية على مصر آثارا وخيمة على الصعيد الإنساني، فمن أكمل مظاهرها تصريح نابليون بونابرت في 30 جويلية 1798م برسالته المقدمة إلى الجنرال زايونشك قومندون المنوفية قائلا: " **يجب أن تعاملوا الترك بمنتهى القسوة، وإني هنا أقتل كل يوم ثلاثة أفراد وآمر بأن يطاق برؤوسهم في شوارع القاهرة، فهذه هي الطريقة الوحيدة لإخضاع هؤلاء الناس وعليكم أن توجهوا عنايتكم لتجريد البلاد قاطبة من السلاح"[4]**، فالظاهر أن نابليون يقصد من عبارة الأتراك الأهالي ولا يمكن أن يقصد الأتراك العثمانيين، لأنه في تاريخ هذه الرسالة كان يتودد إليهم كثيرا أو بصيغة أخرى يتظاهر بمحبته لسلطان الدولة العثمانية، وكلمة الترك كثيرا ما يستعملها الكتاب الفرنسيون للتعبير عن الأهالي

---

[1]- عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج2، ص124.

[2]- عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر.....، المرجع السابق، صص115- 116.

[3]- محمد حسين عبد الغفار: المرجع السابق، ص 105.

[4]- زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص13.

المصريين[1]، كما أن الثورة الشعبية التي ثار فيها الأهالي في 20 أكتوبر 1798م تم سحقها في ظرف يومين بواسطة المدافع وأسفرت عن مقتل أكثر من ثلاثة آلاف من المصريين.

هذا ما أكده فيفيان دينون[2] في كتابه الموسوم " **مصر العليا والسفلى**": " **ما أبغض بشاعة الحرب ولياليها الكالحة حيث يجب جمع الموتى وترك جرحى الأعداء يموتون ببطء أو الإجهاز عليهم قبل طلوع النهار وخاصة تلك الحملات التعسفية والمجازر التي لا داعي ولا مبرر لها خاصة ضد المدنيين والريفيين**"[3]، والدليل الذي يوضح التجاوزات الفرنسية الرسالة التي وجهها الجنرال بريتيه إلى الجنرال دوجا- ضابط مدينة المنصورة - قائلا:"**لقد نكلنا بالثائرين في مذبحة رهيبة فسادت السكينة مساء أمس، وقد قتلنا منهم ألفين أو ثلاثة آلاف**"[4].

وفي نفس السياق تم إرسال حملة انتقامية إلى عرب القيلوبية، التي أحرقت خيامهم وبيوتهم وذبحت رجالهم وقتلت نساءهم وأولادهم ثم أمر نابليون أن تحمل رؤوس قتلاهم إلى القاهرة فحمل منها مائتان وضعت في أكياس ونقلت على ظهور الحمير، ثم أفرغت في شوارع القاهرة أمام أهلها نكاية بهم وتخويفا، وليروا بعيونهم انتقام نابليون فيخشعوا ويخضعوا ويذلوا[5] وفي الإتجاه نفسه أكدت زينب عبد العزيز في كتابها مائتا عام عن حملة المنافقين الفرنسيين تجاوزات حكومة نابليون:"...**وكلما تعقدت الأمور بالنسبة للفرنسيين ازدادت**

---

[1]- كريستوفر هيرولد: بونابرت في مصر، ط1، تر فؤاد أندراوس، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية للكتاب، 1986، ص153.

[2]- كاتب وفنان مسرحي وعالم آثار ودبلوماسي، كان صديقا لفولتير وروبسبيير،عمل لحساب الفنان جاك لويس دافيد، صاحب نابليون في حملة مصر وعاد بمجموعة من الصور التي رسمها، وله مؤلفات بعنوان " أعمال مهداة إلى إله الخصوبة" وهي سلسلة من الاستكشافات نشرها عام 1793م، وكتاب مونفوسون " العصر القديم مشروحا وممثلا في صور (1719- 1724م) يتحدث عن الأثار المصرية وكتاب سماه "رحلة في الوجه البحري ومصر العليا أثناء حروب الجنرال بونابرت طبع 1802م وأهداه إلى نابليون. كان دينون من المولعين بالفنون الجميلة حيث انتخب عضوا في المجمع العلمي بمصر، وتولى في عهد الإمبراطورية إدارة المتاحف. للمزيد أنظر: بيتر فرانس، اغتصاب مصر، ترجمة مستجير مصطفى، سينا للنشر والانتشار العربي، (د.م.ن)، 1998، ص20.

[3]- زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص105.

[4]- عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص283.

[5]- كريستوفر هيرولد: نفس المرجع، ص105.

هجماتهم عنفا وشراسة الأمر الذي كان يدفع النسوة والأطفال والشيوخ إلى محاولة الهرب من جحيم النيران المشتعلة في بيوتهم وهدم مخازن الغلال وذبح الماشية وتحطيم آلاتهم الزراعية وإعدام الرهائن بلا أدنى سبب وعمليات الاغتصاب التي كان يقوم بها الجنود الفرنسيين بلا هوادة..."[1].

تأكيدا على التجاوزات إعترف الجنود الفرنسيون الذين اشتركوا في الحملة في مذكراتهم ومن خلال رسائلهم التي تبادلوها فيما بينهم أو بينهم وبين ذويهم بالفضائع التي ارتكبوها في حق الشعب المصري، أبرزهم الجاويش فرانسوا لما قال: " **إن قرية رفضت إمداد الفرنسيين بالبضائع التي طلبوها، فضرب أهلها بحد السيف، وأحرقت بالنار، وذبح وأحرق تسعة مائة رجل وامرأة وطفل ليكونوا عبرة لشعب همجي نصف متوحش**"[2].

ولدت الممارسات المرتكبة من طرف المحتل الفرنسي على الشعب المصري الشعور بالبغض والكراهية للمستعمر المغتصب لبلادهم وثرواتهم[3]، وزاد هذا الشعور لما كان بونابرت يقوم بالتنكيل بقادة الأمة عقب ثورة القاهرة الأولى وعدد كبير من علماء الأزهر وسجنهم بالقلعة واشتد في إهانتهم، ثم الأمر بقتلهم وفصل رؤوسهم عن أجسادهم، منهم الشيخ إسماعيل البراوي والشيخ أحمد الشرقاوي وهم من كبار علماء الأزهر وحكم على تسعة آخرين بالإعدام غيابا[4].

كما أصدر نابليون أمره في 5 سبتمبر1798م بإعدام السيد محمد كريم حاكم الإسكندرية رميا بالرصاص ومصادرة أملاكه، وقد نفذ الحكم في اليوم التالي بميدان الرميلة بالقاهرة بعد مدة من سجنه بها، وحمل رأسه ليعرض على الملأ في الشوارع، وكان قد كتب

---

[1]– زينب عبد العزيز: المرجع السابق، صص105– 106.

[2]– كريستوفر هيرولد: المرجع السابق، ص105.

[3]– يسرى محمد عبد الهادي الحنفي: المرجع السابق، ص111.

[4]– فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص53.

للجنرال رينيه يقول: " **في كل ليلة نقطع نحو ثلاثين رأسا أكثرها لزعماء الثورة وفي اعتقاده أن هذا سيعلمهم درسا نافعا**"[1].

كما أخذوا الشيخ السادات[2] وحبسوه بالقلعة وحكموا عليه بالإعدام ثم خفف الحكم إلى الحبس اضافة للغرامة المالية التي إضطرته إلى بيع كل ما في بيته من متاع وغيره، ومع ذلك لم يكف المبلغ فحبسوا أولاده وزوجته معه، فكانوا يضربونه في الصباح أمامها خمس عشرة عصا وفي الليل مثل ذلك، والزوجة تبكي وتصيح، لكن بدون جدوى نكالا في شيوخ الأزهر[3]، ولا بد بهذه المناسبة ذكر سليمان الحلبي[4] لما تعرض له على إثر محاولته إغتيال الجنرال كليبر قائد الجيش حين قطعت رقاب ثلاث من رفقائه وحرقهم أمام أعينه وتم حرق يده اليمنى وهو حي[5].

ب- واقع المجتمع المصري بعد الحملة

كان نشر الأفكار والتقاليد والعادات الغربية الفرنسية في المجتمع المصري هدفا من أهداف رجال الحملة الفرنسية بدءا من نابليون ومرورا بكليبر وانتهاء بمينو، فمنذ دخول الفرنسيين إلى مصر بدأ نابليون بإحياء حفلات موسيقية للفرق العسكرية في جميع الأيام بعد الظهر، تحديدا قرب المستشفيات العسكرية سعيا منه إلى بث البهجة في صدور المرضى، وذلك لتحقيق أغراض معينة تشجيعا للفرق المسرحية المؤلفة من الهواة لتسلية الجنود ولتكون في المستقبل وسيلة فعالة لتمدين المصريين[6].

---

[1]- كريستوفر هيرولد: المرجع السابق، ص155- 213.

[2]- (1733- 1813م) شخصية مؤثرة، متعال لا يكترث بالآخرين ومتعطش للثورة والجاه على حد تعبير الجبرتي، نجده تحالف مع الفرنسيين منذ دخول نابليون بونابرت القاهرة ثم خرج عليهم وسجن بالقلعة. للمزيد أنظر: أحمد يوسف، المرجع السابق، ص108.

[3]- محمد جلال كشك: المرجع السابق، ص314- 316.

[4]- شاب سوري، ابن تاجر من حلب، وكان طالبا بالأزهر قبل1800م بثلاث سنوات. للمزيد أنظر: محمد فيصل عبد المنعم، المرجع السابق، ص154.

[5]- محمد جلال كشك: نفس المرجع، ص346.

[6]- هنري لورانس وآخرون: المرجع السابق، ص295.

كما نجد كليبر[1] الذي كان ينادي لنابليون مرارا حين سافر إلى فرنسا أن يرسل له طائفة من الممثلين الذين كان لهم دور كبير في نشر الخلاعة بين المصريين، فكان مما رد به نابليون عليه: " **كنت قد طلبت مرارا جوقة تمثيلية، وسأهتم اهتماما خاصا بإرسالها لك، لأنها ضرورية للجيش، وللبدء في تغيير تقاليد البلاد**"[2].

وقد خصصت أماكن خاصة للحفلات كما وضح الجبرتي قائلا: "...**أحدثوا بغيظ النوبي المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة منتزهة يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة في أوقات مخصوصة، وجعلوا على كل من يدخل إليها قدرا مخصوصا أو يكون بأذونا وبيده ورقة**"، ونجده ذكر أجواءها في قوله: "**امرأة راقصة من الرميلة كانت تأتي للفرنسيين، وترقص لهم في القهوة...وكان مصيرها الشنق على أيدي المصريين حين علموا أمرها**"[3]، فهذه العبارة تبين لنا كيف أن كان الفرنسيون حريصون على نشر الرذائل الخلقية والسلوكية السائدة لديهم وفي الواقع قد تم لهم بعض ما أرادوا خاصة لما قامت فرنسا باستقدام الراقصات الفرنسيات والمغنيات بغية التأثير في بعض طبقات المجتمع[4]، إضافة إلى انحطاط مستوى الأخلاق بظهور بعض النساء المصريات المقلدات للفرنسيين في الفجور والتكشف[5].

وعلى حد تعبير الجبرتي يقول:"...**الذين أصبحوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحريرية الملونة، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة...فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء**

---

[1]– Kléber من مواليد 1753م، درس فن العمارة والهندسة الحربية، انضم إلى الحرس الوطني الفرنسي سنة 1789م، هو كذلك من قادة الحملة الفرنسية على مصر بحيث كان قائد الفرقة الأولى بها قبل تعيينه حاكما على الإسكندرية، ليصبح بعد رحيل نابليون إلى فرنسا القائد العام للجيش الفرنسي بمصر إلى غاية اغتياله على يد سليمان الحلبي سنة1800م. أنظر: حسن زعير حزيم، (ارتقاء نابليون بونابرت للسلطة في فرنسا 1769–1799م)، مجلة كلية الآداب، ع98، الجامعة المستنصرية، (د.ت)، ص82.

[2]– فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص77.

[3]– عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار....، المصدر السابق، ج2 ، ص213– 258.

[4]– نفس المصدر، ص29.

[5]– عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: المرجع السابق، ص215.

الأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن...فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر، وحاربت الفرنسيين بولاق، وفتكوا بأهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات، صرن مأسورات عندهم، فزينوهن بزي نسائهم، وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر"[1]، ويتكلم في نفس السياق نقولا الترك في كتابه الموسوم" **ذكر تملك الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية**" "**...وخرجت النساء خروجا شنيعا مع الفرنساوية، وبقيت مدينة مصر مثل باريس في شرب الخمر والمسكرات، والأشياء التي لا ترضى رب السموات**"[2].

ويوضح كلام هؤلاء المؤرخين مدى التأثير الذي أحدثه الفرنسيون في أفكار وسلوك المجتمع المصري ولاسيما بظهور حركة تحرير المرأة التي أخذت أطوارا متعددة وصلت إلى طور حياة المرأة الغربية ذلك بخروجها من عفتها وطهارتها وحيائها ودينها وبيئتها[3]، والملاحظ أن الطبقات الواعية لم تتأثر من كل الأشياء التي ذكرناها، ظلوا متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم ولم تؤثر أيضا فيهم الأساليب المطبوعة على الخلاعة والمجون لعدم تصديقها حيث نجدها بالعكس هزت المفاهيم الفكرية والاجتماعية التي كانت موجودة في المجتمع المصري ومهدت إلى حركة الانقضاض عليها والعمل على تغييرها[4]، وبذلك انهارت أحلام نابليون و الفرنسيين في تكوين مستعمرة لهم في المشرق الإسلامي.

5- الآثار الدينية:

مما لا شك فيه أن مجيء الحملة الفرنسية قد مهدت للقضاء على النظام العثماني المملوكي في مصر من الناحية الدينية وبصيغة أخرى القضاء على الحكم الاسلامي، على

---

[1]- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار.....، المصدر السابق، ج2، ص212.

[2]- نقولا الترك: المصدر السابق، ص222.

[3]- فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص80، نقلا عن كتاب محمد قطب، كتاب قضية تحرير المرأة، ط1، مكتبة السنة، القاهرة، 1991.

[4]- يسرى محمد عبد الهادي الحنفي: المرجع السابق، صص112- 113.

عكس ما كانوا ينادون إليه، بحيث نجد أن الشريعة لم تطبق إلا على لسان نابليون وفي منشورات الفرنسيين[1] والدليل على ذلك تغيير مينو لقانون الأحوال المدنية الاسلامي واستبداله بقانون فرنسي في المواريث وإلغاء المحاكم المصرية وإنشاء محاكم على غرار المحاكم الفرنسية وذلك ليقضي على النظام الاسلامي في مصر[2].

صحيح أن الفرنسيين أكدوا على إحترامهم للدين الاسلامي لكن بالنظر للممارسات الفرنسية في أرض الواقع يظهر عكس ما نادوا به، لاعتدائهم على حرمة الأزهر وغيره من المساجد، فقد تمتع الأزهر على مدى تاريخه بمكانة مرموقة لدى المسلمين جميعا لأنه مثل للأمة مركز القيادة، لتعبيره عن إراداتها بمواقف علمائه الجريئة، فالأزهر جامعة علمية عريقة قادت المسلمين نحو التقدم في جميع المجالات، ولهذا رغبت فرنسا في تحطيم مكانة الأزهر في قلوب المسلمين بالاعتداء على حرمته دون مراعاة لمشاعر أحد منهم ويصف الجبرتي شناعة الفرنسيين إبان ثورة القاهرة الأولى، وما أحدثوه في الجامع الأزهر خاصة ويقول: "...**ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول وبينهم المشاة كالوعول، وتفرقوا بصحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، وكانوا بالأورقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ودشنوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيه وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب، وكسروا آوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه**"[3]، وقال ريبو واصفا تأثير ضرب مدافعهم فيه:" **أوشك الجامع الأزهر أن يتداعى من شدة الضرب فتدفن تحت أنقاضها الجماهير الحاشدة فيه...**"[4].

---

[1]– محمد سعيد العشماوي: مصر والحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)، 1999، صص154–155.

[2]– يسرى محمد عبد الهادي الحنفي: المرجع السابق، ص123.

[3]– عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار.....، المصدر السابق، ج2، صص220– 221.

[4]– عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص278.

ولم يقتصر الاعتداء على الأزهر فقد تعداه إلى المساجد الأخرى ففي عهد مينو مثلا جعلوا جامع الحاكم قلعة وهدموا أكثر بيوت الحسينية ومساجدها ومزارتها وهدموا أيضا معظم بولاق وبعض مساجدها[1]، واتخذوا من مسجد الظاهر قلعة وجعلوا من مأذنته مرصدا وأقاموا في داخله عدة مساكن لجندهم وحظائر لخيلهم، ووضعوا على الأسوار المدافع[2]، هذا وتم الاعتداء على مسجد عمرو بن العاص المعروف باسم الجامع العتيق أول مسجد بني في مصر قبل قدوم الحملة بعام واحد من قبل نابليون بونابرت حيث يقول الجبرتي متحسرا عما جرى:"...**جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب** "، كما هدموا مساجد أخرى بالجملة وحولوا بعضها إلى خمارات كالذي فعلوه بمسجد الرّويعي بالقاهرة[3].

المطلب الثاني: نظرة تحليلية نقدية للشق الحضاري من الحملة الفرنسية على مصر

1- المجمع العلمي المصري:

كانت سياسة بونابرت قائمة على أساس دراسة طبيعية للبلاد والوقوف على جميع مواردها حتى يجعل منها نقطة ارتكاز لتوسعاته في الشرق، ولذا أمر نابليون بونابرت بإنشاء المعهد المصري في 22 أوت 1798م[4] وولي رئاسته أكبر الرياضيين مونج Monge، إن هدف المؤسسة تتطابق تماما مع فلسفة الأيديولوجيين الفرنسيين على حد تعبير هنري لورانس في كتابه الموسوم"**الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام**"، وتهدف أيضا إلى:

- ترقية ونشر الأنوار في مصر.
- دراسة ونشر المعلومات الطبيعية والصناعية والتاريخية عن مصر.
- إبداء رأيه حول مختلف المسائل التي تستشيره فيها الحكومة.

---

(1)- عبد الله الشرقاوي: تحفة الناظرين في من تصرف في مصر من الولاة والسلاطين، (مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية الرقمية)، رقم (822)، 1824، صص62- 63.

(2)- فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص51.

(3)- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار.....، المصدر السابق، ج2، ص435- 450.

(4)- Francois Charles Roux : Bonaparte, Gouverneur d'Egypte, Paris, 1936, p154 .

مع تقديم كل سنة جائزتين الأولى يكون الموضوع يتصل بتقدم الحضارة المصرية أما الثانية تتصل بتقدم الصناعة[1]، فالمجمع العلمي بدوره ينقسم إلى أربعة أقسام:

– قسم الأبحاث الرياضية والطبيعية، قسم الأبحاث الاقتصادية، قسم الفنون، قسم الآداب[2].

وكل قسم له اثني عشر عضوا يجتمع مرتين في الشهر، كان مقره قصر حسن الكاشف بالناصرية ووصف الجبرتي القصر خلال كلامه عنه فقال:"...**أنه عمر الدار العظيمة بالناصرية وصرف عليها أموالا عظيمة، وقبل بياضها وصل الفرنسيون إلى الديار المصرية فسكنها الفلكيون وأهل الحكمة والعلوم الرياضية – أعضاء المجمع العلمي– فلذلك صينت من الخراب كما وقع لغيرها من الدور**"[3].

ومما يجب الإشارة عليه أن أعضاء المجمع وبعثة العلوم والفنون لا يدخرون وسعا في متابعة جهودهم العلمية في مختلف الفروع والفنون، فأنشئوا مكتبة تحوي أنفس الكتب التي أحضروها من فرنسا أو جمعوها من خزائن الكتب في القاهرة[4] ما أكده الجبرتي في قوله:"...**وفيه جملة كبيرة من كتبهم و عليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها لطلبة ومن يريد المراجعة...وإذا حضر إليهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لا يمنعونه الدخول إلى أعز أماكنهم وتلقونه بالبشاشة والضحك وإظهار السرور بمجيئه إليهم ويحضرون له أنواع الكتب المطبوعة...فمن جملة ما رأيته كتاب كليبر يشتمل على سيره النبي صلى عليه وسلم...ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضية، ومعرفة اللغات واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق...**"[5].

---

[1]– هنري لورانس وآخرون: المرجع السابق، ص198.

[2]– عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص119.

[3]– عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار....، المصدر السابق، ج2 ، ص163.

[4]– جاد طه: معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، (د.م.ن)، (د.ت)، ص36.

[5]– عبد الرحمن الجبرتي: نفس المصدر، ص164.

والملاحظ أن المعهد العلمي الفرنسي تم إنشاؤه من طرف نابليون بونابرت ليكون مكملا له وخادما للأغراض الإستشراقية، ومذللا للعقبات التي تعترض طريق الجيش الغازي من هذا المنطلق صرح هيرولد Herold في كتابه "**نابليون في مصر**":" **كان هدف حملة بونابرت تحويل مصر إلى مستعمرة لفرنسا تجنى من ورائها كسبا، ولتحقيق هذا الهدف لم تكن اللجنة العلمية أقل أهمية من الجيش**"، وأكد نفس الفكرة جورج ليجران في قوله:" **لكن هذه الجمعية الشهيرة لقيت بعد ذلك مصير الحملة نفسه وبعد أن عادت إلى فرنسا، وأخذت تجتمع في باريس، ونشرت أبحاثها من العام الثامن من الثورة(1799-1800م) إلى الحادي عشر منها(1802- 1803م) التي حل محلها كتاب وصف مصر الكبير وانتهى تاريخ المعهد الفرنسي**"[1].

2- لجنة العلوم والفنون:

إن البعثة الفرنسية التي رافقت الحملة حسب فيليي Villiers قدرت بـ175عالما[2]، وقد قسمت البعثة عند وصولها إلى مصر إلى ثلاثة أقسام: قسم بالقاهرة برئاسة مونج، والثاني بالإسكندرية وكانوا نحو خمسة عشر عالما والقسم الثالث في رشيد وكانوا حوالي عشرين عالما، ولما استقر بونابرت بالقاهرة، أرسل في 21 أوت يطلب حضور جميع العلماء إلى القاهرة فاستجاب مينو، وأرسل العلماء الموجودين في رشيد، ولكن كليبر استبقى العلماء الذين كانوا في الإسكندرية بدعوى رسم خريطة مصر وتم بذلك تنظيم اللجنة وتوزيع الأعمال على أعضاءها[3].

لقد جاءت لجنة العلوم والفنون لتدرس الواقع المصري والشخصية المصرية ليسهل السيطرة عليها من جهة وخدمة للجيش وأهدافه من جهة ثانية، لا علاقة لها على الإطلاق بالمجمع العلمي المصري هذا ما أكده جورج ليجران في الجزء الثاني من كتابه"**بلاد نابليون بمصر**"حين ذكر"**أن مونج وبرتولي وبونابرت هم الذين ابتكروا الخطة التكميلية لإلحاق**

---

[1]- فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص46- 98.

[2]- محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص612.

[3]- جاد طه: المرجع السابق، ص38.

لجنة العلم والعلوم بالجيش المنتصر، لتكون مهمتها تحضير وتنفيذ استعمار مصر"، كما تحدث هذا الأخير عن جهود نابليون بانضمام بعثة علمية إلى الجيش مؤكدا بقوله:"**أن بونابرت كان يحث حكومة الإدارة في فرنسا على أن تعهد إليه بجيش من اختياره ولجنة من العلماء وتعهد لها بالاستيلاء على مالطة لحصانتها والاستيلاء على مصر الخصبة...فالحملة إذن إستعمارية بحتة بما فيها بعثة العلماء...ولقد أراد نابليون بالعلماء بهؤلاء إنشاء مستعمرة مثالية تكون جديرة به وبالفلاسفة وبأصدقائه**"[1].

هذا وقد صرح جان تولار في كتابه الموسوم " **نابليون والأسطورة المنقذ**" بأن البعثة العلمية التي صاحبت الحملة على مصر لم تكن أكثر من تبرير للحملة[2].

3- حجر الرشيد[3]:

لقد ذكرت الكثير من المصادر عن عملية تكثيف رحلات التنقيب من طرف اللجنة العلمية للحملة الفرنسية، ومن الآثار التي تم اكتشافها حجر الرشيد فقال جورج ليجران أن الضابط المهندس بوشار اصطدم به بالمصادفة البحتة[4]، حيث كان يقيم تحصينات في رشيد إذ ما إن تقرر بدأ الحفر لإقامة قلعة هناك، عثروا على بقايا أبنية مصرية قديمة وبينها عثر على حجر الرشيد الذي أرسل إلى القاهرة ليفحصه المجمع العلمي من أجل حل رموزه.

---

[1]- فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، صص96-97.

[2]- نفس المرجع، ص106.

[3]- هو حجر من الجرانيت الأسود ارتفاعه975 ملليمتر وطوله ثلاثة أقدام تقريبا وعرضه 732 ملليمتر وسمكه حوالي 250 مليمتر به نقوش على وجه واحد عبارة عن ثلاث مجموعات من النقوش منفصلة بعضها عن بعض، أما النقوش العليا فكانت أربعة عشر سطرا بالهيروغليفية، يليها اثنان وثلاثون سطرا بلغة مصرية قديمة طوقية، أما النقوش التي تليها فكانت في أربع و خمسين سطرا باللغة اليونانية القديمة. للمزيد أنظر: محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص635.

[4]- فرج محمد الوصيف: نفس المرجع، ص98.

وبعدها قام مارسيل[1] بطبع النقوش يوم 24 جانفي 1800م[2]، وبدوره ليجران أوضح أن الفرنسيين انبهروا بما شاهدوا من آثار مصرية، حتى أن ديزيه طلب من نابليون بونابرت نقلها إلى باريس[3].

وقد حلت رموز اللغة الهيروغليفية القديمة الذي كتب على الحجر على يد شامبليون عام1822م ذلك بعدما نقله الإنجليز إلى المتحف البريطاني على إثر جلاء القوات الفرنسية من مصر[4].

4- خريطة جاكوتان[5]:

اعتقد بونابرت أنه من الأهمية بمكان وضع خريطة دقيقة ومفصلة لمصر، وعلى هذا النحو انتشر العلماء في طول البلاد وعرضها لرسم الخرائط المفصلة، بحيث نجد علماء الجغرافية والطبوغرافية الذين أخذو على عاتقهم وضع خطة مفصلة للقطر المصري من أجل إنشاء مستعمرة تكون بمثابة النواة للإمبراطورية الجديدة، على حسب ما أكده بونابرت لما

---

[1]- هو جان جاك جوزيف مارسيل J.J.Marcel تتلمذ على يد مونج بمدرسة المعلمين العليا بباريس، ثم درس بمدرسة اللغات الشرقية على يد لانجليس وفانتور وسلفستر دي ساسي وأجاد العربية والتركية وغيرها، رأس في صدر شبابه تحرير صحيفة مدارس المعلمين وقد جمع بيده حروف المنشور العربي الأول لبونابرت على البارجة لوريان واختير عضوا للمجمع العلمي المصري، نشر في مصر عدة بحوث منها كتب في تعليم العربية الفصحى والعلمية. وبعد عودته إلى فرنسا اشترك في تحرير العمل الضخم "وصف مصر" وكتاب التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية على مصر، وفي أواخر أيامه عين مارسيل مديرا عاما لمطابع الدولة ومنح وسام فرقة الشرف. للمزيد أنظر: أحمد حسين الصاوي، المرجع السابق، ص21.

[2]- محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، صص635- 636.

[3]- فرج محمد الوصيف : المرجع السابق، ص89.

[4]- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار.....، المصدر السابق، ج2، ص32.

[5]- مؤلفة من 47 خريطة كبيرة طوبوغرافية غاية في الدقة والتفصيل منها 42 خاصة بمصر وخمسة خاصة بالأقاليم السورية التي فتحها نابليون وثلاث خرائط أخرى جغرافية عن مصر وخريطة أخرى عامة تجمع الخرائط الطوبوغرافية. أنظر: عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ج1، ص127.

أمر في 28 يونيو1788م باجتماع العلماء الجغرافيين في مقر هيئة أركان الحرب، وعهد إلى جاكوتان[1]Jacotin بمسؤولية رئاسة الفريق المسؤول عن إعداد الخريطة[2].

نتج عن هذا العمل رسم طبوغرافيات الجهات الواقعة حول الإسكندرية ورسم مجرى النيل بين مصر القديمة وبولاق ورسم بحيرة البرلس وفرعي الرشيد ودمياط وفتحات القنوات التي تصب في هذين الفرعين، زيادة عن ذلك تم رسم أقاليم الدلتا الداخلية وطيبة والقصير وبحيرة المنزلة والبلاد، وصولا إلى الصعيد وغيرها من المناطق بعدها منحوا الخرائط إلى جاكوتان فاستمر العمل عليها إلى غاية إتمامها نهائيا في 13 أكتوبر1803م، ولا بد من الإشارة إلى أن جميع الرسومات أخذت إلى فرنسا بعد جلاء الفرنسيين من مصر[3].

5- المطابع والصحافة :

هيأت حكومة الإدارة للحملة كل ما احتاجت إليه من آلات للطباعة، بجمع حروف المطبعة من باريس[4]، واستكملت لها الأحرف العربية من مطبعة بروما، فأحضر نابليون بونابرت مطبعة تألفت من ثلاث مطابع فرنسية اثنتين منها عربية وواحدة يونانية تنقسم إلى قسمين مطبعة شرقية وفرنسية بإشراف مارسيل Marcel، كما أحظر مطبعة خاصة أشرف

---

[1]- (1725-1827م) من المهندسين الجغرافيين الذين جاءوا مع الحملة وقد تولى رئاستهم بعد مقتل كبيرهم تستوفيد في ثورة القاهرة وعهد إليه نابليون في وضع خريطة مصر العامة ، فاشترك في تخطيطها مع المهندسين الجغرافيين ومهندسي الري في عهد الحملة الفرنسية، ونسبت إليه تسمية خريطة جاكوتان، وقد عين وهو في مصر عضوا في المجمع العلمي بالقاهرة، وللكولونيل بحثان جغرافيان في كتاب تخطيط مصر، الأول عن تخطيط خريطة القطر المصري نشر في الجزء السابع عشر والثاني عن مساحة القطر المصري نشر في الجزء الثامن عشر. للمزيد أنظر: عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ج1، ص127.

[2]- محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص640.

[3]- نفس المرجع، صص640-641.

[4]- ابراهيم عبده: تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة 1798- 1801م، ط2، مكتبة الآداب، الجمامين، 1949، صص12- 13.

عليها مارك أوريل[1] Marc Aurel الذي سمي مطبعجي الجيش[2]، وبهذه الأخيرة كانت تطبع المنشورات التي يصدرها رجال الحملة تحت إشراف فانتور[3] Venture.

هذا وكان بونابرت قد عهد إلى مطبعة مارك أوريل بطبع صحيفتين، صحيفة أسبوعية خاصة بالجيش بعنوان Le Courrier de L'Egyptienne أسست في 29 أوت 1798م[4] تصدر مرة كل خمسة أيام، وهي التي كانت تنشر أخبار الشام وأوروبا والجيش وأخبار المجمع العلمي وأنباء الاحتفالات وغيرها من المسائل وأهم ما نشرته رحلة فولني[5]، أما الجريدة الثانية فهي دورية أدبية واقتصادية وسياسية تدعى La Decade Egyptienne، تصدر مرة كل عشرة أيام ثم انتهى بها الحال لتصدر كل شهر، فهي بمثابة لسان المجمع العلمي لأنها تتحدث عن نشاطهم وتنشر بحوثهم وذلك لمعرفة البلاد معرفة صحيحة وإدراك قيمتها وما تتضمنه، فقد جمعت هذه الجريدة في ثلاث مجلدات ظهر الأول منها في 15 سبتمبر 1799م والمجلد الثاني في 16 ماي 1800م والمجلد الثالث في 30 مارس 1801م، ولابد من الذكر أن هذه الأخيرة هي نسخة تطورت في كتاب وصف مصر الذي سيأتي الحديث عنه[6].

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك صحيفة التنبيه التي كانت تصدر باللغة العربية لنشر البيانات والأوامر ونشاط الديوان وأخبار العالم والمقالات الأدبية والأخلاقية[7]، إلى جانبهما

---

[1]– هو جوزيف إيمانويل مارك أوريل ابن بيير مارك أوريل الذي كان طابعا وناشرا وصاحب مكتبة بمدينة فالنس على نهر الرون، وقد تعرف بونابرت بهما أثناء عمله ضابطا بثكنات هذه المدينة، وفي عام1793م عين بونابرت صديقة الشاب جوزيف طابعا لحملة طولون. للمزيد أنظر: أحمد حسين الصاوي، المرجع السابق، ص22.

[2]– محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص653.

[3]– هو أحد أعضاء لجنة الترجمة بالمجمع المصري، وأكبر أعضاء هذا المجمع سنا، قضى أربعين سنة من حياته في الشرق، فكان مترجما بالسفارة الفرنسية في تركيا، ثم مدرسا للغة التركية في مدرسة اللغات الشرقية في باريس، ثم صحب الحملة إلى مصر، توفي بسوريا بمرض الدسنطاريا. للمزيد أنظر: جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2000، ص46.

[4]– زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص19.

[5]– محمد فؤاد شكري: نفس المرجع، ص658– 660.

[6]– نفسه، ص661– 663.

[7]– جاد طه: المرجع السابق، ص40.

طبعت الحوليات وكتاب قواعد باللهجة العامية وآخر عن سقوط القسطنطينية باللغة العربية[1]، والواقع أن المطبعة قد حازت على إعجاب الكثير من المشايخ وأعضاء الديوان وغيرها من المصريين الذين زاروها، وقرءوا الصحف والبيانات المطبوعة باللغة العربية[2].

6- كتاب وصف مصر:

كان الفضل لكليبر في إنجاز كتاب وصف مصر عندما استدعى المجمع العلمي للاجتماع في 24 نوفمبر 1799م للتفاهم في شأنه، إذ قام بتأليفه علماء المجمع العلمي الذين جمعوا المادة العلمية اللازمة لإنجازه هذا ما أكده الجبرتي بقوله:"...**اشترك في وضعه ستون من أكابر العلماء في كل فن**..."، هذا الكتاب طبع في باريس بين عامي 1809 و1828م صدر في تسعة مجلدات، وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام هي: التاريخ القديم والتاريخ الحديث والتاريخ الطبيعي، والواقع أن الكتاب تعرض للجغرافيا والآثار وموارد الثورة الحيوانية والنباتية والمعدنية والتاريخ والمجتمع وما إلى ذلك من فروع المعرفة[3].

فقد أضحى مرجعا لا غنى عنه لكل الباحثين في شتى التخصصات، وهو أعظم مجهود علمي بذل حتى القرن التاسع عشر للتعريف عن مصر القديمة والحديثة، فهو بذلك من أنفس الوثائق عن تاريخ مصر وأحوالها الفكرية والاجتماعية، وهو أيضا حلقة اتصال قوية بين ماضي مصر وحاضرها وبين صورها ومظاهرها في أواخر القرن الثامن عشر ومظاهرها المعاصرة، ويزيد في قوته ونفائسه ما احتواه من الخرائط والرسوم التي تخرج لنا مواقع مصر وآثارها في صورة مادية حية[4]، إلا أن جورج ليجران في كتابه"**بلاد نابليون في مصر**" أثبت أن الكتاب هو إخفاء لهزيمة الحملة وفشل أهدافها من توطيد أقدامهم في

---

[1]- زينب عبد العزيز: المرجع السابق، ص19.

[2]- جاد طه: المرجع السابق، ص40.

[3]- نفس المرجع، ص39.

[4]- علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مج1، ط3، دار الشايب للنشر، القاهرة، 1992، صص9- 10.

مصر عن الإنجاز الملموس الوحيد الذي تفخر به فرنسا بعد فشل الحملة، ولا بد منا أن نذكر بعد رحيل الفرنسيين إلى بلادهم أخذوها معهم[1].

وأما ما قيل عن فوائد الحملة الفرنسية وقيام بعض علمائها ببحوث علمية مهمة يقول عبد الرحمن الجبرتي في هذا السياق:"**تطرح سؤال مهم هو:هل كانت تلك البحوث ذات اتصال أهل البلاد؟ أو هل علم الفرنسيون أبناء المسلمين شيئا من أوليات تلك البحوث؟ الجواب قطعا بالنفي**"[2]، القول دليل على أن الفرنسيين ببحوثهم العلمية لم يستفد منها إلا الفرنسيين أنفسهم.

ومن الجدير بالذكر أن الجبرتي في مقدمة تاريخه عن كتب العلم التي ملئت بها الخزائن وفقدان الكثير منها قال:"...**ثم ذهبت البقايا في الفتن والحروب، وأخذ الفرنسيون ما وجدوه إلى بلادهم**"[3]، ويؤكد في نفس السياق حول السرقة العلامة محمود شاكر قائلا:"...**ولكنهم –الفرنسيون– لم يرحلوا عن القاهرة المخربة، وعن الشعب الذي استنزفوا ثرواته بالضرائب والإتاوات مدة ثلاث سنوات، حتى المستشرقون المصاحبون للحملة الفرنسية، ومستشرقون آخرون من كل جنس سرقوا كل نفيس من الكتب، وكانت القاهرة يومئذ من أغنى بلاد العالم بالكتب...دليل السرقة قائم في جميع مكتبات أوروبا صغيرها وكبيرها...وفي أرجاء العالم المتحضر! وكان همهم الأكبر يومئذ هو السطو على كتب علوم الحضارة أولا، ثم على كتب التاريخ ثم على كتب الآداب كلها بلا تمييز**"[4]، ولتدعيم هذا القول لابد من الإشارة إلى قول جان ماري كاري:" **أثناء ثورة القاهرة في أكتوبر 1798م وبينما كانت مدافع دومارتان تدك الجامع الأزهر مركز التمرد الشعبي، ألقي جان جوزيف مارسيل بنفسه وسط النيران لينتزع منها مخطوطات قرآنية نادرة**"[5]، وعند توقيع الاستسلام

---

[1]– عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص140.

[2]– عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار....، المصدر السابق، ج2، ص34.

[3]– نفس المصدر، ص11.

[4]– محمد فرج: المرجع السابق، صص48– 49.

[5]– زينب عبد العزيز: المرجع السابق، صص20–21.

والجلاء عام1801م اضطر علماء الحملة إلى استخدام كافة الوسائل الدبلوماسية الماهرة الحيوية ليأخذوها معهم إلى فرنسا.

7- المسرح والمظاهر العمرانية:

أ- المسرح

على أن أهم ما فعله الفرنسيون لإنعاش الحياة الاجتماعية أنهم أنشئوا بالقاهرة في نوفمبر1798م ملهى سمي التيفولي أنشأه دارجيفل يمضي فيه الفرنسيون رجالا ونساء أوقاتهم في الحديث أو القراءة والاستماع للموسيقى تارة أخرى.، كما كان يجتمع المهرجون والراقصات والمغنيات لإدخال السرور والبهجة. وأقاموا مسرحا لتمثيل الروايات "**الكوميدية والتراجيدية والأوبرا كوميك**" التي كانت تقوم الحفلات التمثيلية مرة أو مرتين كل عشرة أيام تستقبل مختلف الجنسيات(الفرنسيين، المصريين، النصارى وأهل الطوائف الأخرى)[1].

ب- المظاهر العمرانية

تمتعت مصر على مدى تاريخها الطويل بمظاهرها العمرانية لكن بدخول الفرنسيين مصر خربتها وشوهتها إلى غاية جلائها، فقال الجبرتي عنها:" **وانقضت هذه السنة وما حصل فيها، فمنها توالى الهدم والخراب وتغيير المعالم، وتنويع المظالم**"[2].

كما تحدث الجبرتي من البساتين المزينة بالنخيل والأشجار والنخيل قائلا:"...**ومنها قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنائن...كل ذلك لإحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار في جميع الجهات...**"[3].

وكل هذه الأعمال دليل على أنهم ما جاءوا إلا لإستنزاف خيرات مصر والقضاء على معالم حضارتها ومظاهر جمالها، هذا ما أكده أيضا الفرنسيون الذين صاحبوا الحملة حزنا

---

[1]- محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص571- 573.

[2]- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار.....، المصدر السابق، ج2 ، ص432- 434.

[3]- نفس المرجع، ص438.

على ما حصل منهم المسيو جالان الذي يقول:"...**رجعت الى القاهرة واضطررت أن أبحث لي عن منزل آوي إليه في ميدان الأزبكية بدل المنزل الذي كنت أتصور، فقد عم الخراب أحياء بأكملها، وتمثل لنا شبحه المخيف في الأزبكية، وأثرت في نفسي صورته المفزعة**"[1].

في ختام الفصل يمكننا الخروج بنتيجة مفادها أن الدوافع التي ساقتها الحكومة الفرنسية كمبررات لغزوها مصر، اعتبرها المؤرخون عارية من الصحة استخدمت كوسيلة أو أداة لتبرير انتهاكاتها وتجاوزاتها في حق الشعب المصري، وهو ما يفند ويسقط فرضية التنوير والتحديث التي لاطالما تغنى بها الفرنسيين، الذين أثبتوا بما لايدع مجالا للشك نواياهم الإستعمارية التوسعية في الشرق انطلاقا من مصر.

[1]– عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج2، ص174.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر وتداعيتها

المبحث الأول: أسباب و دوافع الحملة الفرنسية على الجزائر

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية وانعكاساتها

عرفت العلاقات الجزائرية الفرنسية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر توترا وتصعيدا غير مسبوق، توج بحملة عسكرية ضد الجزائر إنجر عنها سقوط هذه الأخيرة، وعن الأسباب الحقيقية لهذه الحملة تشير عديد المصادر أنها أعمق بكثير مما بررت فرنسا به غزوها للجزائر، وهو ما يؤكده التغيير الكبير والتحول الذي شهدته هذه الأخيرة في ظل السياسة الاستعمارية الجديدة على كافة المجالات والأصعدة.

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على الجزائر

المطلب الأول: جذور الحملة والظروف الممهدة لها

1- المخططات الفرنسية لغزو الجزائر:

لم يكن غزو الجزائر من طرف فرنسا فعلا ظرفيا ليتحول بعدها باستعمال قوة السلاح إلى احتلال نهائي حسب مقولة نابليون بونابرت المشهورة " **أنا هنا إذا سأبقى فيها** "، أكيد وأن شارل العاشر[1] استفاد كثيرا من سابقيه في الحكم من الظروف الداخلية والخارجية التي سمحت بتحقيق مشروعه منذ زمن بعيد في نوايا فرنسا التوسعية[2].

كانت الجزائر محط أنظار العديد من الدول منذ القرن السادس عشر على الأقل والدليل على ذلك كثرة الحملات العسكرية التي شنت عليها من قبل الدول الأوروبية سواءً منفردة أو مجتمعة، إلا أن أكبر الدول الأوروبية طمعا في الجزائر هي فرنسا، انطلاقا من عدة

---

[1]- شارل العاشر: ملك فرنسا الذي تمت في عهده الحملة العسكرية ضد الجزائر، تولى الحكم من سنة 1824إلى 1830م، وهو حفيد لويس الخامس عشر وأخ لويس السادس عشر، هاجر في بداية الثورة الفرنسية إلى إنكلترا إلى غاية 1814م، بمبدأ الملكية المطلقة كنظام حكم اعتلى عرش فرنسا بعد وفاة أخيه الملك لويس الثامن عشر، أطاحت ثورة جويلية 1830م بحكمه وهو الذي يعد آخر ملك من أسرة البوربون. للمزيد من المعلومات أنظر: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص16.

[2]- الغالي غربي: العدوان الفرنسي على الجزائر، الخلفيات و الأبعاد، المركز الوطني للدراسات للبحث في تاريخ الحركة الوطنية والثورة، الجزائر، 2007، ص23.

اعتبارات ومعطيات أبرزها أن الجزائر كانت الأقرب إلى فرنسا خارج أوروبا مع ما تتمتع به الأولى من عمق استراتيجي وبعد اقتصادي[1].

رغم العلاقات الحسنة نوعا ما التي كانت تربط الجزائر بفرنسا التي استمرت لفترات زمنية متلاحقة في إطارها الدبلوماسي والاقتصادي خاصة[2]، إلا أن التخطيط لغزو الجزائر بدأ منذ أيام حكم لويس التاسع أو لويس القديس كما يعرف الذي هدف لاحتلال بلدان المغرب سنة 1270م وكذا لويس الرابع عشر الذي هدف إلى جعل الجزائر فرنسية مسيحية، لكن الظروف الدولية دفعته للعدول عن الفكرة مؤقتا ريثما ينتهي من صراعه مع بريطانيا حول مصير الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت النهاية أن اندحر أمام بريطانيا فانعكس ذلك سلبا على الخزينة الفرنسية التي أفلست بسبب سياسته التوسعية[3]، دون نسيان مخطط الملك لويس الخامس عشر، الذي وضعه النقيب لوفور سنة 1763م وعنوانه: "**مذكرة لتخريب الجزائر mémoire pour détruire ALGER** " لكن لم يجد المشروع طريقه للتجسيد.

ونضم فقط إلى تلك القائمة الطويلة من المناورات والمؤامرات والنوايا والأهداف العدوانية، المشاريع الأكثر جدية وأهمية:

أ- مشروع دوكرسي وجون بول سانت أندري

دوكرسي هو قنصل فرنسي ما بين 1782 إلى 1791م، سمحت له إقامته في الجزائر في وضع مشروع احتلالي يسمح لحكومته بوضع حد نهائي للدولة الجزائرية واستبدالها بجزائر فرنسية قلبا وقالبا، عن طريق توجيه ضربة عسكرية ضدها، وقد عبر عن حقده الدفين للجزائر بقوله بأن فرنسا من خلال تحطيمها للجزائر تكون بذلك خلصت شعوب

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف : تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص32.

[2]- بوعزة بوضرساية: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات م. و. د. ب. ح.و.ث، الجزائر، 2007، ص21.

[3]- نفس المرجع، ص22.

المسيحية من عبئ كبير وكارثة عظمى[1]، وفي عهد نابليون بونابرت دائما، وضع القنصل الفرنسي العام جون بول سانت أندريSaint Andre [2] سنة 1802م خطة لغزو الجزائر وعنوانها مشروع لحملة ضد الجزائر وقد أوضح مخطط هذا المشروع أنه في حالة ما إذا تم قبول مشروعه فإنه بإمكان فرنسا احتلال الجزائر في غضون ثمانية أيام[3].

ب- مشروع بوتان ودوبتي

زيادة عن المشروع الآخر في عهد نابليون المدروس أكثر والمعد بتعمق وجدية وتفصيل أكبر وهو مشروع الضابط بوتان[4] سنة 1808م، إذ وصل هذا الأخير للجزائر في 24 ماي 1808م ومكث بها 68 يوما جاب من خلالها البلاد من الشرق إلى الغرب متجسسا على الحصون دارسا خطة النزول التي اقترح أن تكون بدقة من برج البحري شرقا إلى سيدي فرج غربا، وتضمن التقرير معلومات دقيقة عن تحصينات الجزائر وطبيعة أرضها وعدد قواتها وزمن الحملة المقترحة والجيش الضروري[5].

ومع ذلك لم يتمكن الإمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت من تحقيق هذا المشروع على أرض الواقع لعدم استقرار الأوضاع الداخلية في فرنسا وفي أوروبا إجمالا " **كان منشغلا بالحرب في إسبانيا وبحملته على روسيا**"[6]، وبالرغم من عدم استعماله في هذه الفترة إلا أنه بقي يعتبر كأحسن مصدر يمكن الاستعانة به في أي وقت، وقد طبع هذا التقرير في

---

[1]- بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص23.

[2]- ولد 25 فيفري 1749م بمدينة مونتوبون بجنوب فرنسا، تلقن في صغره تربية دينية فأصبح راهبا وعند اندلاع الثورة الفرنسية 1789م وقف إلى جانب الثوار، عام 1813م عينته حكومة الإدارة قنصلا بالجزائر. للمزيد أنظر: بنور فريد، المخططات الفرنسية اتجاه احتلال الجزائر 1792- 1830م، مؤسسة كوشار للنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 2008، صص116- 117.

[3]- مولود بلقاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ط2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص216.

[4]- ولد فانسون بوتان في جانفي 1772 في قرية لوروبوترو بضواحي نانت بفرنسا، للمزيد أنظر: بنور فريد، نفس المرجع، ص335.

[5]- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص25.

[6]- نفس المرجع، ص25.

كتاب واقتطعت عدة مقاطع منه وجمعت في دليل مع إجراء تعديلات وإضافات، ثم وزع على مختلف تشكيلات الجيش الفرنسي المتجه نحو الجزائر، وألزم هؤلاء أثناء توغلاتهم وهجماتهم وخططهم التكتيكية التقيد بنفس الملاحظات والتحليلات والإرشادات الواردة في الكتاب[1].

إن المحاولات الإحتلالية التي شهدتها مرحلة حكم نابليون لم تر النور رغم أهميتها الإستراتيجية، إنها فترة عرفت من خلالها فرنسا اضطرابات في الداخل والخارج منعتها من تحقيق هذه الفكرة ودفعت بالدرجة الأولى حكومة نابليون إلى التريث قصد استتباب الوضع الداخلي لفرنسا من جهة وفرض هيمنتها العسكرية على أوروبا من جهة أخرى.

وبعد مؤتمر فيينا[2] عاد السلام من جديد بين الجزائر وفرنسا وعينت الأخيرة قنصلا لها في الجزائر في 28 أوت 1815م وهو بيير دوفال الذي حمل إلى الداي هدايا ثمينة قدرت بـ 112924 فرنك فرنسي، إلا أن اتباع هذا القنصل لسياسة اتفق عليها جمع من المؤرخين أنها كانت تتسم بالتعفن والتوريط وخلف الوعد، ساهم من خلالها في توتر وتأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية في مرات عديدة[3].

كما أن مشاريع الحملة ظلت تكثر يوما بعد يوم، فقد كلف الضابط الفرنسي دوبتي ثوار بإعداد مشروع لمهاجمة الجزائر ولكن الحكومة الفرنسية لم تأخذ به، ثم تولى إعداد مشروع أخر وزير الحربية أنذاك " **الكونت كليرمون تونير** " والواقع أنه اعتمد على مشروع الرائد بوتان السابق ذكره، وقد رأى تونير أن حملة فرنسية ضد الجزائر ضرورية وممكنة في نفس

---

[1]– الغالي غربي: العدوان الفرنسي على الجزائر، المرجع السابق، صص75– 76.

[2]– مؤتر فيينا: انعقد في نوفمبر من سنة 1814م ، سيطر على فعاليات المؤتمر قادة أوروبا الرجعيين في صورة مترنيخ زعيم النمسا الذي كان يرى ضرورة تطويق فرنسا لمنع انتشار أفكار الثورة الفرنسية فأقر المؤتمر ميلاد هولندا في الشمال الفرنسي وسردينيا في جنوبه، مع وضع إقليم الراين تحت وصاية بروسيا كما نادى المؤتمرون بمبدأ الحقوق المشروعة والتي بموجبها عادت أسرة البوربون لحكم فرنسا. للمزيد أنظر: هربرت فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789– 1950م)، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط6، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1957، صص109– 110.

[3]– أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص22.

الوقت، وكان في تقريره النهائي بعض العواطف الدينية الواضحة، فقد وصف الحملة بأنها "**حرب صليبية** " هيأتها العناية الإلهية لينفذها الملك الفرنسي الذي إختاره الله ليثأر من أعداء الدين والإنسانية ويغسل الإهانة التي لحقت بالشرف الفرنسي، وأضاف تونير مخاطبا الملك "**لعل الوقت سيجعل من حظنا نحن الفرنسيين تمدين الجزائريين بجعلهم مسيحيين** "[1].

جـ – تقرير تونير

وقد احتوى تقرير تونير الذي كان في أهميته يشبه تقرير بوتان وصفا للحالة الاقتصادية التي كانت عليها الجزائر والتي تغري أصحاب رأس المال والمصالح التجارية، فقد قال إن الخزينة الجزائرية كانت تضم 150 مليون فرنك وأن للجزائر موانئ عديدة وسهولا خصبة وغابات صالحة لبناء السفن، وهناك مناجم الحديد والرصاص وجبال من الملح ومواد كيميائية أخرى، وفي نفس الوقت دعم أحلام العسكريين حين أوصى بإقامة مستعمرات عسكرية في الجزائر[2].

أما في بقية تفاصيل المشروع فقد كان تونير يسير على خطى بوتان، حين أوصى هو أيضا بالهجوم من البر بدل البحر وأن يكون نزول القوات الفرنسية في شبه جزيرة سيدي فرج أما وقت الحملة فهو ما بين أفريل وجوان وتوقع أن تدوم الحملة ستة أسابيع ورأى أن الحملة ستكلف الخزينة الفرنسية حوالي 50 مليون فرنك ووجب أن تضم 33000 جندي بالإضافة إلى فرقة من الخيالة وعدد من فرق المدفعية.

وكان من رأيه أن فرنسا لا تحتل جزءا فقط من الجزائر بل يجب أن تحتلها بالكامل واقترح الوزير الفرنسي سنة 1827م موعدا لانطلاق الحملة لأن أوروبا كانت تعيش في سلام ولأن الرأي العام الفرنسي كان مهيأ لها، وقد ناقش مجلس الوزراء مشروع تونير في جلسة 11أكتوبر 1827م ولكن المجلس قرر في النهاية عدم الأخذ به آنذاك[3].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص26.

[2]– نفس المرجع ، ص26.

[3]– نفسه، ص27.

د- **مشروع اللجنة العسكرية**

في 10 أكتوبر 1828م قام وزير الحربية الفرنسي دوكو بتشكيل لجنة من العسكريين الفرنسيين من أجل التحضير للقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر، وتضمن تقرير اللجنة عدة محاور أساسية منها أهداف الحملة، تشكيلات الجيش البري والبحري الفرنسي المزمع إرساله للجزائر، قيادة الأركان والمصالح الإدارية المشاركة، الزمن المناسب للحملة وتقدير النفقات المالية التي تكلفها الحملة، وقد اتفق أعضاء اللجنة أن النصف الثاني من شهر أفريل من نفس السنة هو التاريخ المناسب لانطلاق الحملة وأن أحسن منطقة للنزول هي شبه جزيرة سيدي فرج، إلا أن انشغال الحكومة الفرنسية التي كان يترأسها مارتينياك بالحرب في المورة اليونانية أجل تنفيذ هذا المشروع[1].

2- الظروف المحيطة بالحملة:

أ- ظروف الجزائر قبل الحملة الفرنسية

- الوضع السياسي:

تميز الوضع السياسي في الجزائر قبل الحملة بعدم الاستقرار مع توالي عدة أنماط من أنظمة الحكم على السلطة متمايزة عن بعضها متنافسة فيما بينها، ومرد هذا هو طبيعة الوجود العثماني في الجزائر وخصوصيته والظروف الداخلية والخارجية التي واكبها، ومن مظاهر عدم الاستقرار نجد ظاهرة الفساد والمرتبطة أساسا بانحطاط النوعية الاجتماعية لدايات الجزائر في أواخر العهد العثماني، وهذا لا يعني أن كل الدايات كانوا فاسدين لكن أكثريتهم كانت كذلك، ونستدل عن ذلك بتصريح أحدهم وهو يخاطب دبلوماسي فرنسي بقوله " **أنا رئيس عصابة من السراق ومهنتي أن آخذ ولا أعطي**" ومن ظواهر الفساد الأخرى

[1]- الغالي غربي: العدوان الفرنسي على الجزائر، المرجع السابق، صص 77- 78.

نذكر الإسراف والتبذير، وأخذ الرشوة وهذه الصفة الذميمة جعلت الكثير من الدايات يبيعون ذممهم لليهود والأجانب من الأوروبيين[1].

أما عن علاقة هؤلاء الدايات بالجزائريين قبل الحملة الفرنسية، فقد تميزت بازدياد الضغط المالي على السكان بعد أن نضبت موارد القرصنة التي كانت تدر على الخزينة العمومية مبالغ ضخمة، مما أرغم الدايات نحو التوجه إلى استغلال الموارد الداخلية للبلاد من أجل توفير احتياجات الدولة من الأموال وقد كان لهذه السياسة الضريبية المجحفة أن ولدت هوة واسعة بين الرعية والحاكم العثماني[2]، تطورت لحركات تمرد وعصيان نذكر منها تمرد محمد أوقاسي في منطقة القبائل الكبرى سنة 1819م على السلطة الحاكمة والذي شارك فيه 16 زمالة في عمراوة ومعها بعض الزمالات من واقنون، لكنه فشل بعد تمكن الأغا يحى من قتل محمد أوقاسي سنة 1820م[3] بأمر من الداي حسين[4].

كما شهدت سنة 1829م مؤامرة استهدفت قتل الداي حسين وقلب نظام الحكم في الجزائر، قادها مجموعة من الإنكشاريين وكان ضمن مخططهم أن يولوا مصطفى خوجة كحاكم على الجزائر، لكنهم فشلوا بسبب خيانة أحدهم الذي رأى أن الداي وبالرغم من الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر إلا أنه لا يستحق أن تقوم ضده مؤامرة، ويؤكد أنه منذ توليه الحكم وهو يعمل لمصلحة حكومته والنهوض بالبلاد[5].

---

[1]– الغالي غربي: العدوان الفرنسي على الجزائر، المرجع السابق، صص21– 22.

[2]– نفس المرجع، ص23.

[3]– فتيحة صحراوي: الجزائر في عهد الداي حسين، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2010–2011، ص74.

[4]– الداي حسين: أخر دايات الجزائر، تولى شؤون الإيالة منذ 1818م خلفا للداي علي خوجة، إشتهر بالحزم والغيرة على الدين الإسلامي غير أن الفترة التي تولى فيها الحكم كانت حرجة على الصعيد المحلي والخارجي، إضطر للمغادرة نحو الإسكندرية عبر إيطاليا بعد الحملة الفرنسية وتوقيعه معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م. للمزيد أنظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص15.

[5]– سيمون بفايفر: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009، صص74–75.

- الوضع الاقتصادي:

كان دور الدايات في تطوير البنية الاقتصادية لنيابة الجزائر سلبيا إذ لم يساهموا إسهاما محسوسا وجديا في إنفاق رؤوس الأموال لتحسين أحوال البلاد وتطوير البنى التحتية، ورغم تنوع الثروات والموارد الطبيعية فإن الحياة الاقتصادية في بداية القرن التاسع عشر كانت متدهورة وتعاني من عدة مشاكل أعاقت تطورها، ويأتي على رأس هذه العوائق طبيعة النظام العثماني الذي بقي تقليديا ولم يواكب التطور الصناعي الحاصل في أوروبا، فلم تعمل على التجديد والابتكار في مقابل ذلك ازداد نفوذ الأجانب خاصة اليهود والذين كانوا يتصرفون في النيابة وكأنها مستعمرة ينهبون خيراتها[1].

زيادة على ذلك هناك عامل أخر كان وراء تدهور الحياة الاقتصادية وهو موجات الأوبئة والمجاعات والجفاف التي كانت تضرب البلاد في فترات متلاحقة تكاد تكون غير متقطعة وما ينتج عنها من ركود اقتصادي، ونتيجة للإختلال بين الصادرات والواردات فقد تعرض الميزان التجاري للجزائر للعجز وصل سنة 1822م إلى 237000 دولار[2] وهو مبلغ ضخم تدفعه حكومة دولة ليس بها موارد اقتصادية تذكر يمكن أن تعوض بها هذه الخسارة[3].

- الوضع الإجتماعي:

بالرغم من عدم وجود إحصائيات رسمية عن سكان القطر الجزائري في العهد العثماني، فإن بعض التقديرات تشير إلى أن سكان الجزائر في نهاية العهد العثماني كان يتراوح بين ثلاثة ملايين وثلاثة ونصف مليون نسمة، وأن 5% من هؤلاء السكان كانوا يعيشون في المدن في حين 95% منهم في الريف[4]، إلا أن سوء الأحوال الصحية وانتشار

---

[1]- الغالي غربي: العدوان الفرنسي على الجزائر، المرجع السابق، ص29-31.

[2]- للإطلاع على جدول يمثل العجز المالي للجزائر سنة1822م، أنظر ملحق رقم02، ص138.

[3]- الغالي غربي: نفس المرجع، ص38.

[4]- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية1962م، ط1، دار الغرب الاسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص 73.

الأمراض والأوبئة أثر على نمو السكان حيث تعددت الوفيات وتضاءل معها عدد السكان، وفيما يخص الفترة التي تناولناها بالدراسة فإن الجزائر تعرضت في سنة 1818م لوباء في مدينة الجزائر أتى على عدد كبير من الوفيات، إضافة إلى زلزال البليدة عام 1825م، والتي تحولت فيه هذه الأخيرة إلى خراب وكان أكثر الناس أمواتا تحت الأنقاض[1].

كما أن الأمر الذي يجب الإشارة إليه هو تزايد نفوذ فئة اليهود أواخر العهد العثماني، وهم الذين اشتهروا بعملية السمسرة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية إلى درجة أن أحد السكان علق بالقول " **أنه أصبح من الصعب على أي عربي أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود** "[2]، وعن المستوى التعليمي فأغلب المصادر تشير إلى أن التعليم كان يشمل جل أقطار الجزائر وأن نسبة الأمية تكاد تكون منعدمة في مختلف شرائح المجتمع بفضل المؤسسات الوقفية التي لعبت دور الممول الأول للمدارس.

ب- ظروف الفرنسا قبيل الحملة العسكرية على الجزائر

اتفقت عديد الأقلام الأوروبية أن فرنسا ما قبل الحملة (حملة الجزائر 1830م) كانت تعيش حالة لاإستقرار داخلي، بفعل حالة الانقسام والتفكك في الجبهة السياسية والاجتماعية، فبوفاة لويس 18 عام 1824م دون أن يخلف إبنا يرث عرشه أصبح التاج الفرنسي من حق الكونت دورتوا وهو آخر من تبقى على قيد الحياة من أسرة البوربون، فارتقى إلى العرش باسم شارل العاشر وبذلك سيطرت الملكية المتطرفة على أجهزة الحكم والدولة، وبدأت الحكومة الفرنسية في عهده مرحلة التحول الفعلي لعودة المؤسسات والنظم الفرنسية إلى ما كانت عليه قبل 1789م وأعادت للأشراف ما كان لهم من امتيازات قديمة واستصدرت قانونا يعرف باسم المليار يعطيهم تعويضا عن ما صادرته منهم الثورة، كما سمحت للآباء اليسوعيين

[1]- محمد الشيخ برابح: مواقف دول غرب المتوسط من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006- 2007، ص50.

[2]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص75.

(الجزويت) بالعودة إلى البلاد ووضعت الجامعة ومؤسسات التعليم تحت إشراف رجال الدين[1].

هذه السياسة المتطرفة أثارت موجة عارمة من المعارضة في جميع أنحاء البلاد وتخوف الناس أن يقدم الملك على مزيد من الخطوات الرجعية ولم يكن هذا بالمستبعد عليه، إذ سبق له أن صرح بالقول " **الخير لي أن أكون حطابا من أن أملك على شاكلة ملك إنجلترا**" (في إشارة له إلى الملكية الدستورية البريطانية)، ومن هذا المنطلق انقسم المجتمع الفرنسي إلى ثلاثة جبهات فإلى اليسار كانت فئة المستنيرين والكتاب والصحفيين الشديدي التعلق بالجمهورية ومبادئ الثورة، وهؤلاء هالتهم تصرفات الحكومة الفرنسية خاصة بعد عزل الحرس الأهلي الذي هو آخر ما تبقى من مؤسسات الثورة، وكذلك طرد بقايا ضباط نابوليون من الجيش، وفي الوسط كانت جماعات الملكيين الدستوريين المؤلفة من فئات من المثقفين وكبار التجار والصناع، وفي أقصى اليمين نجد الملكيين المتطرفين المؤمنين بالأفكار الرجعية مؤلفة من النبلاء والملاك ورجال الدين[2].

المطلب الثاني: أسباب الحملة بين الإدعاءات الفرنسية والحقيقة التاريخية:

1- المبررات الفرنسية للحملة العسكرية على الجزائر:

هناك العديد من الكتاب الذين يعطون انطباعا في تحاليلهم لتاريخ الجزائر أن سبب إقدام فرنسا على غزو الجزائر والقضاء على الدولة الجزائرية وتعويضها بسلطة استعمارية جديدة، يرجع إلى حادثة المروحة بين الداي والقنصل الفرنسي في أفريل عام 1827م، والحقيقة أن لهذا الغزو عدة أسباب مخفية وغير معلن عنها[3].

---

[1]- محمد حسام النايف: تاريخ أوروبا من الثورة الفرنسية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2011، ص153.

[2]- نفس المرجع، ص154.

[3]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص81.

فالقول أن الدافع وراء هذه الحملة هو الإهانة التي لحقت بدوفال من طرف الداي حسين هو إدعاء لا يمس جوهر الحقيقة، فليس من المعقول كما يذكر زعيم النمسا **مترنيخ METTERNICH** أن تحرك فرنسا مثل هذا الجيش الجرار تقريبا 40000 جندي وأن تصرف من خزانتها هذه المبالغ الطائلة 150 مليون فرنك من أجل ضربة مروحة كما يقال[1].

ومن هذا المنطلق صاغت السلطات الفرنسية مجموعة من المبررات والدواعي التي رأتها سبب لحملتها ضد الجزائر، نحاول أن نقف عندها ونحللها من وجهة نظر موضوعية:

أ- حادثة المروحة

لقد جرت العادة أن تقوم قناصل الدول الأوروبية المعتمدين لدى الجزائر بزيارة إكرام إلى الداي بمناسبة اليوم الأول من البيرم[2]، وعلى هذا الأساس جاء السيد دوفال ليؤدي زيارته للداي حسين بمحضر جميع أعضاء الديوان، وبعد الحفل سأل الباشا القنصل لماذا لم تجب حكومته عن برقياته العديدة الخاصة بقضية الديون فكان جواب دوفال في منتهى الوقاحة إذ جاء كالأتي: " **إن حكومتي لن تتنازل للإجابة لرجل مثلكم** "، ومما لا شك فيه أن الداي كان يمكن أن يعذر السيد دوفال لو وقع ذلك بمناسبة أخرى، ولكنه لم يتمالك نفسه من الغضب وضربه بالمروحة ضربة واحدة " **هذه المروحة مصنوعة من سعف النخيل** "[3].

علق المؤرخ الفرنسي غالبير عن هذه الحادثة بالقول " **فحتى لو كان هناك داع الداي للشكوى من القنصل دوفال - وهي شكوى لا يمكننا قبولها بحال - فما كان له أن يضربه**"[4].

---

[1]- شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبداية الإستعمار 1827-1871م، تر جمال فاطمي وأخرون، مج1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص38.

[2]- كلمة تركية تعني عيد الفطر

[3]- عثمان بن حمدان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي زبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص142.

[4]- مولود بلقاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص195.

وقد رد عليه نايت بلقاسم في كتابه " **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م**" بالقول " **إن حادثة المروحة لم تكن السبب فكانت قبلها مراويح** " فلو كانت رغبة فرنسا في الإنتقام لشرفها هي السبب لكانت قامت بهذه الحملة قبل ذلك بقرون بإحدى المناسبات العديدة التي رأت فيها فرنسا نفسها مهانة نذكر منها حادثة وقعت لقنصل فرنسي قائم بأعمال نابليون بونابرت في الجزائر بعد أن كان ممثل لويس السادس عشر وهو دوبوا تانفيل عندما أمر الداي علي بإلقائه في سفينة أمريكية على وشك الإقلاع إلى فرنسا، وقد كتبت وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 19 أكتوبر 1811م إلى خلف قنصلها العام القائم بأعمالها في الجزائر تقول " **إن باريس لا ترى أن مثل هذه المعاملة من الداي تعتبر بمثابة إهانة للقنصل العام القائم بالأعمال، فلا تستحق أن تتخذ كحجة لإعلان حرب** "[1].

وبالعودة قليلا إلى الوراء وبالضبط سنة 1802م حاصرت سفينة جزائرية الميناء الفرنسي الصغير **سان توربي St tropez** قريبا من ميناء طولون " **أكبر ميناء حربي فرنسي**" حيث كان مجموع الأسطول الفرنسي راسيا، وقد اشتاط نابليون غضبا، وبعث برسائل في سائر اتجاهات السماء مثل البرق فإلى أمراء بحريته " **الأميرالات** " في طولون كتب " **إنها لفضيحة للجمهورية une situation déshonorante pour la république** ".

وإلى قنصله العام في الجزائر كتب " **لقد قررت أن ألقن هؤلاء الجزائريين قطاع البحر درسا** "، ومع ذلك لم يفعل نابليون شيئا ضد الجزائر، بل واصل في إرسال مساعديه مبعوثين خاصين إلى الدايين مصطفى والحاج علي، طالبا تجديد المعاهدات ومؤكدا ضرورة استمرار علاقات السلم والصداقة بين الشعبين[2].

ونختم هذه الجدلية بتصريح " **هرمان هاوف** " وهو ألماني مكث في الجزائر تزامنا والحملة الفرنسية وأصدر كتابا تحت عنوان " **الجزائر كما هي 1835م** " يقول في أحد المواضع " **إن إهانة موظف صغير ما كانت لتؤدي بالضرورة إلى الحرب، لو أن فرنسا**

---

[1]– مولود بلقاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص211.

[2]– نفس المرجع، ص214.

كانت في وضع يسمح لها بالتجاوز عن الأمور البسيطة، ويقدم دليلا قويا على ذلك وهو أن الإهانات المتكررة التي لحقتها من طرف " الدون ميكيل " ما كان في مقدورها أبدا أن تعلن الحرب على البرتغال، وعلى هذا فإن فرنسا قد مسحت أثر المروحة من وجه قنصلها بالدم، لأن ذلك يعود عليها بالفائدة "[1].

ب- فكرة الانتقام للشرف الفرنسي

وبخصوص السلبيات التي كان حسين باشا موضوعا لها في المنشور الذي وزع على الجزائريين غداة الحملة والذي أدعت من خلاله أن الهدف الفرنسي هو تأديب الداي حسين وإرجاع كرامة الفرنسي الضائعة ثم الانسحاب هي ليست محل إجماع المؤرخين والباحثين، وذلك أن بعض المعارضين للداي يمتدحون سياسته وأدبه وحزمه ويذكرون حبه للأهالي وغيرته على الدين الإسلامي[2] ومن بين هؤلاء حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة الذي يعد مصدرا أوليا لمعرفة هذا الحاكم إذ يقول في حق آخر دايات الجزائر ما يلي:" **تولى الحكم مرغما سنة 1818م، كان رجلا عالما وشجاعا حكيما** " وأن دوفال ما هو إلا وسيلة استعملته الحكومة الفرنسية لاستفزاز الداي واستدراجه إلى القيام بتصرف تتذرع به كحجة لغزو الجزائر[3].

ومن جملة الأدلة والثوابت التي دفعتنا لهذا الإستنتاج مايلي:

- أن دوفال شخص بارع في أعمال الغش والرشوة وفساد الذمة[4].

- كان يمتاز باتباع سياسة التعفن الإجتماعي والتوريط وخلف الوعد[5].

---

[1]- أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص27.

[2]- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص20.

[3]- عثمان بن حمدان خوجة: المصدر السابق، ص146.

[4]- الغالي غربي: العدوان الفرنسي.....، المرجع السابق، ص81.

[5]- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، ص22.

– طول المدة التي قضاها في الجزائر كقنصل، ودلالة توقيت وفترة التنصيب إذ تم تعيينه في هذا المنصب في شهر أوت 1815م أي مباشرة بعد مؤتمر فيينا الذي تقرر فيه ضرورة تدمير القوة العسكرية الجزائرية كما أن هذه المدة (1815–1827م) سمحت له بدراسة وتحليل شخصية الداي حسين الذي عايشه لمدة تسع سنوات (1818–1827م) وكذلك معرفة المجتمع معرفة دقيقة، والتعرف على مدى قوة الجيش الجزائري ونقاط ضعفه وغيرها من القضايا الهامة.

ما ذكره سيمون بفايفر أنه في اليوم نفسه الذي وقعت فيه حادثة المروحة ظهرت في ميناء الجزائر سفينة شراعية فرنسية، كما لو كان على موعد معها فأخذته وأتباعه ونقلتهم معها إلى فرنسا، وهذا يدفعنا إلى القول أن القنصل دوفال تلقى الضوء الأخضر من حكومته أن يفعل شيئا معينا في حضرة الداي حسين في ذلك اليوم ليستفزه وليتم اتخاذ رد فعل الداي كحجة لغزو الجزائر وهو ما حدث فعلا كما أن ما رواه بفايفر يثير العديد من الاستغراب فلا يمكن اعتباره مجرد صدفة بل مؤامرة مدبرة بحنكة ولقد نجح دوفال في أن يجعل الداي حسين يسايره في لعبته القذرة[1].

كما أن تصرفات القنصل دوفال مخالفة تماما لتقاليد التمثيل القنصلي والأدب السياسي و الأعراف الدبلوماسية، فقد تطورت ضربة المروحة من حادث دبلوماسي إلى تهديد عسكري وضغط حربي زاد في توتر وتأزم العلاقة بين البلدين[2].

جـ– الإدعاء بأنها حملة تأديبية مؤقتة

تشير الفكرة أو الفقرة الثانية من المنشور الذي وزع على الجزائريين غداة الحملة أن هدف الحملة هو الإنتقام من سوء تصرف حاكم الجزائر ومن فعله المهين تجاه فرنسا، وقد وصفوها بالحملة التأديبية المؤقتة تؤدي دورها ثم تعود من حيث أتت، ولكن السؤال المطروح هنا هل يستدعي فعلا إهانة قنصل تجميع الفرنسيين لجيش ضخم مثل ذاك 64000 جندي

---

[1]– الغالي غربي: العدوان الفرنسي.....، المرجع السابق، ص81.

[2]– عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 16.

حسب غرينيفيل و37000 جندي حسب جوليان وأسطولا جرارا 675 سفينة وقطعة حربية، أسندت قيادتهم العليا لوزير الحرب بورمون[1]، وقيادة الأسطول للأميرال دوبيري[2]، كما يستبعد شيمبر أن تكون فرنسا قد أقبلت على تلك التضحيات الجسام 120 مليون فرنك لو أنها لم تكن تعتقد أن في إمكانها الحصول على مبالغ مناسبة في جهة من الجهات[3].

وفي غضون أيام تحولت الحملة إلى احتلال وتحول تأديب الداي حسين باشا إلى تأديب شعب وأرض وتحول " **الإنتقام من الترك المستبدين** " إلى انتقام من صاحب الدار نفسه لأنه مسلم ولأنه رفع سلاح الدفاع عن الأرض والشرف في وجه الاحتلال[4].

د- حقيقة الرسالة التمدينية الفرنسية

حاولت فرنسا من خلال المنشور الذي وزع على الجزائريين غداة الحملة الادعاء بأن غاية حكومتها هو النهوض بالجزائر ونشر المدينة بين أهلها، فهم رجال بيض ينحدرون من عرق متميز وهو أعلى درجة من بقية البشر، يزعمون أن لهم رسالة هي عبئ ثقيل لابد لهم من تحملها ولابد لهم من تأديتها، ومن حقهم ومن واجبهم الأخذ بيد الأعراق المتخلفة والتحكم فيها للنهوض بها ولتمدينها[5].

واعتمدوا في تبرير رسالتهم على مقولات عنصرية مشكوك في نزاهتها لبعض العلماء والباحثين الذين كانوا أداة لرجال الحكم والسياسة ومن ضمن أولئك مجموعة من الأطباء النفس سيطروا على الجزائر بزعامة الطبيب " **أنطوان بورو** " **Antoine Porots**، وقدموا

---

[1]- دي بورمون: قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، شارك من قبل في حملات فرنسية في عهد نابليون بونابرت سنة 1810م، ضد إيطاليا وروسيا برتبة عقيد، رقي في عهد لويس 18 إلى رتبة العضوية في المجلس الأعلى للتشريع، وفي سنة 1829م عين وزيرا للحربية، ثم مشيرا عند قيادته للحملة، وبعد سقوط شارل العاشر امتنع عن خدمة لويس فيليب وفضل اللجوء للبرتغال. للمزيد أنظر: عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص15.

[2]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992، ص16.

[3]- أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص36.

[4]- أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع، ص16.

[5]- جمال قنان وآخرون: الإستعمار بين الحقيقية التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2006، ص33.

دراسات بثوها في أجيال عدة وخلاصتها أن لرجال الشمال الإفريقي منزلة دون الرجل الأبيض الغربي، وأنه اعتبارا لما يدعون اليه على أنها معطيات علمية مجرم بالطبع، هدام بالغريزة، مزاجي، يكون لك تارة أكبر صديق، وتارة أخرى أكبر عدو، كسول كذاب ليس له تفكير منطقي، وهو ميال لسفك الدماء[1].

أما " **فيلهم شيمبر**" وهو رحالة ألماني زار الجزائر بالموازاة مع الحملة الفرنسي، فقد رأى عكس ذلك تماما وفند جل ما ذهبت إليه الأقلام الفرنسية " **يصرح بأن الشعب الجزائري لا يختلف عن غيره من حيث أخلاقه وطباعه، فالخير والشر يجتمعان فيه جنبا إلى جنب، مثلما هو الحال في أي مكان آخر ويكرر مرة أخرى أنه يفضلهم على سكان الشاطئ الأوروبي للبحر الأبيض المتوسط، لأنهم أكثر تدينا وثقافة منهم، فهم على الأقل يستطيعون القراءة والكتابة ويحبون النظام ويمارسون أعمالهم بجد ونشاط** "[2].

ويضيف في موضوع آخر" .... **ولكنهم لا يرضون بالتعدي على حرماتهم وتقاليدهم الدينية، حقا إن معاشرتهم لا تخلو في البداية من البرود، إلا أن الإنسان سرعان ما يكتشف طبيعتهم ولطفهم وأخلاقهم النبيلة وفضائلهم الحميدة** ".

وقد ندد الطبيب " **فرانز فانون** "**Frantz Fanoun** المناضل الكبير ضد الاستعمار، والمقاوم الشجاع في الثورة التحريرية بهذه الترهات ورد عليها، وقد بين خاصة أن سلوك رجل الشمال الإفريقي، ليس نتيجة نظام عصبي وراثي أو خاصية مزاجية غريزية، ولكنه نتيجة وضع إستعماري "[3].

إن الرسالة التمدينية التي ادعت فرنسا أنها استعمرت الجزائر لنشرها كذب وبهتان في مستوى النيات وتجهيل وتفقير في مستوى النتائج، إنها مغالطة وتضليل وهي مآساة إنسانية

---

[1]– جمال قنان وآخرون: المرجع السابق، ص34.

[2]– أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص17.

[3]– جمال قنان وآخرون: نفس المرجع، ص35.

لأن هذا الاستعمار في الحقيقة احتلال بالقوة وابتزاز بالعنف، وفي بقية عرضنا سندرك قيمة الإضافة التي قدمتها فرنسا إلى الجزائر على المستوى الحضاري[1].

هـ- فكرة القضاء على القرصنة

كثيرا ما ربطت عديد الأقلام الأوروبية بين الحملة الفرنسية وقضية القضاء على القرصنة، فقد تذرعت الحكومة الفرنسية بهذه المسألة ضمن ما تذرعت به ووجدت في مظهرها الإنساني وسيلة فعالة للاستناد عليها لتحقيق أطماعها في الجزائر، والحقيقة التاريخية تشير إلى أن القرصنة كانت منتشرة في السواحل وحوض البحر الأبيض المتوسط وقد كانت عامة في ذلك الوقت يقبل عليها المسلمون والمسيحيون على حد سواء دون تستر، وكأنها نوع من الحروب والجهاد ضد السفن المعادية، وهي التي أصبحت موردا هاما من موارد خزينة الداي، مما جعل الدول الأوروبية في مقدمتها فرنسا وبريطانيا تطالب بضرورة تأمين المواصلات والتجارة في البحر المتوسط، وكانت هذه المسألة من المسائل التي ناقشها مؤتمر فيينا 1815م وإكس لاشبيل 1818م[2] وفيها تأكد ضرورة توجيه ضربة عسكرية ضد الجزائر[3].

ومن هذا المنظور روى جول كامبون الذي حكم الجزائر في الفترة الممتدة من 1891 إلى 1897م أن الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت قد عبر عن امتنان أمريكا لقضاء فرنسا على القرصنة في الجزائر سنة 1830م، لأن الفرنسيين هم الذين خلصوا أمريكا مما لا يليق بها وهو دفع إتاوات إلى قراصنة الجزائر لحماية تجارتها ونسب كامبون إلى روزفلت أنه قال له: " **إنكم بالقضاء على هؤلاء القراصنة قد خدمتم كل الأمم المتحضرة** " والجدير

---

[1]- جمال قنان وآخرون: المرجع السابق، ص35.

[2]- مدينة تقع في جنوب ألمانيا

[3]- شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1977، صص254- 255.

بالملاحظة أن كامبون أضاف بأن احتلال فرنسا للجزائر كان في جملته عملا إنسانيا عميقا، رغم اعترافه بالشقاء الذي يرافق الحروب عادة[1].

2- الدوافع الحقيقية للحملة الفرنسية على الجزائر:

أ- الدوافع السياسية

إذا كان لويس الثامن عشر قد تبنى كثيرا من الإصلاحات التي من بينها الدستور واتجاهات ليبرالية أخرى بخصوص الكنيسة والصحافة والفلاحين، أخذ في الطرف الأخر حزب الملكيين المتطرفين يتقدم تدريجيا، لذلك فإنه عندما مات لويس الثامن عشر سنة 1824م كانت الحكومة في فرنسا في أيدي الملكية الرجعية وكان الملك الجديد شارل العاشر قد أعاد كثيرا من الامتيازات إلى طبقة رجال الدين، وقد ألغى حرية الصحافة وجرد معظم الطبقة الوسطى من حق الانتخاب[2].

وقد كانت هناك علامات سخط في شعبه بالموازاة مع نمو الاتجاهات الليبرالية ثم الأفكار الجمهورية والاشتراكية، وعندما شعر شارل العاشر وجماعته الرجعية أن تيار الشعب الفرنسي يسير ضدهم رأوا أن يعدوا حملة ضد الجزائر للنفخ في الروح الوطنية ولمنع أو تأجيل الثورة التي كان يتوقعها الجميع، ثم إن المعارضة التي سيطرت على مجلس النواب في انتخابات نوفمبر 1827م خلقت مصاعب داخلية للملك الفرنسي، الذي كان يعتقد أن الحل الوحيد لإسكات المعارضة هو إحراز انتصار باهر على داي الجزائر[3].

وفي ظل المعارضة المتواصلة أقدم الملك شارل العاشر بحل مجلس النواب بقرار ملكي صادر في 17 ماي 1830م وبدعوة المجالس الانتخابية للاجتماع في شهري جوان وجويلية وإجراء انتخاب مجلس الشيوخ والنواب في الثالث من أوت[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص17.

[2]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص257.

[3]- نفس المرجع، ص257.

[4]- نفسه، ص258.

فالحجة التي هي من باب السياسة الداخلية، هي الفائدة السياسية للملك عندما يجري الانتخابات البرلمانية ومفاتيح الجزائر في يده[1]، كما أن هناك سبب سياسي آخر لا يقل أهمية عن السابق ويتمثل في اعتبار حكومة الداي في الجزائر تابعة للإمبراطورية العثمانية التي بدأت تنهار والدول الأوروبية تتهيأ للإستيلاء على أقاليمها، خاصة أن الفرنسيين على دراية بأن الدولة العثمانية غير قادرة على الدفاع عن الجزائر في هذه المرحلة تحديدا[2].

كما أن فرنسا كانت تحلم دوما بتبوأ مكانة متميزة وتسعى إليها بين جيرانها ومنافسيها، مما يعطيها إشعاعا يمكنها من نشر نظمها و لغتها خاصة بعد الانكماش الذي تعرضت له في أعقاب الحروب التوسعية النابليونية من خلال قرارات مؤتمر فيينا 1815م، كما وضحه " **جول فيري**" أحد كبار دعاة الاستعمار في فرنسا في بيانه شروط العظمة[3].

ب- الدوافع العسكرية

تتفق العديد من المصادر التاريخية إلى أن انهزام الجيش الفرنسي في مصر وانسحابه منها تحت ضربات القوات الإنكليزية والعثمانية في سنة 1801م أخل بتوازنه وقوته المعهودة[4].

ثم تلى ذلك انهيار نابليون في معركة واترلوا سنة 1815م مما أفقد الجيش الفرنسي هيبته وسمعته على الصعيد الدولي، فكان لزاما عليه رد الاعتبار وهذا لا يتحقق إلا بحملة ضد الجزائر هذا من جهة، أما من جهة أخرى فقد شعر ملك فرنسا أن من الأفضل أن يعتمد على سياسة التوسع في إفريقيا ويعمل على إشغال الجيش بمسائل حيوية تتمثل في احتلال الجزائر وتحقيق انتصار باهر هناك، وبالتالي يتخلص الملك من إمكانية قيام الجيش

---

[1]- مولود بلقاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص 197.

[2]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص83.

[3]- جمال قنان وآخرون: المرجع السابق، ص31.

[4]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص259.

بانقلاب ضده في فرنسا، وبالفعل فقد انشغل باحتلال الجزائر وأقام سلطة عسكرية قوية هناك[1].

كما أن قيادة الجيش الفرنسي تأكدت بأن الظرف العسكري الذي كانت تجتازه البحرية الجزائرية يصب في صالحها، بعد ما علمت أن الأسطول الجزائري فقد خيرة ضباطه وجنوده وأهم قطعه البحرية في شبه جزيرة مورة في معركة نافارين[2].

جـ- الدوافع الاقتصادية

يأتي في مقدمة الدوافع المباشرة للتوسع الفرنسي في الجزائر العامل الإقتصادي " **إن السياسة الاستعمارية هي بنت القاعدة الصناعية** " حسب تعبير جول فيري أحد أقطاب التوسعية الفرنسية[3]، فالبحث عن الأسواق لتصريف المنتوجات الصناعية وتسويق السلع من خلال البحث عن أسواق جديدة خارج القارة الأوروبية، وتصريف فائض الإنتاج كلها نقاط مهمة تبرر ما يصرف على عملية الغزو من مال وجهد، كما أن امتلاك هذا الإقليم الغني الذي كان في فترة من الفترات يمون الإمبراطورية الرومانية بحاجاتها من الموارد خاصة مادة الحبوب، جعل فرنسا تضع الجزائر كأولى الأولويات وضرورة حتمية في سبيل استعادة مجدها الضائع[4].

---

[1]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص84.

[2]-مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص320.

[3]- جمال قنان وآخرون: المرجع السابق، ص50.

[4]- شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص257.

ويظهر هذا بوضوح في الدراسة التي نشرها السيد تاليران[1] في شهر جويلية من عام 1797م والتي كان عنوانها " **محاولة حول الامتيازات التي يمكن الحصول عليها من جراء إنشاء مستعمرات يقصد الشمال الإفريقي والجزائر خاصة في الظروف الحالية** "[2].

وانطلاقا من هذه الحقائق، تعاون الرأسماليون الفرنسيون الذين كانت تدفعهم مصالحهم المالية إلى التوسع والعثور على أسواق جديدة ومواد خام ضرورية خاصة بعد التحول الصناعي الكبير الذي أحدثته الثورة الصناعية مع رجال الجيش الفرنسي الذين كانوا يبحثون عن المغامرات وملء جيوبهم حتى يرتقوا إلى مصاف الشخصيات الراقية في المجتمع الفرنسي، كما أن مجموعة كبيرة من التجار كانت متحمسة لفكرة احتلال الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها لزراعة الكروم[3].

دون أن نغفل قضية الامتيازات[4] التي كان لها الدور البارز في الحملة الفرنسية بحيث استرجعت فرنسا بمقتضى معاهدة 1817م ممتلكاتها لبعض المؤسسات التجارية التي توقف استعمالها أثناء الثورة، ولكن الداي قرر أنه لا يسمح بامتيازات لفرنسا لا تتمتع بها الدول الأخرى، ولذلك هدم كل الحصون والمؤسسات وتوابعها التي كانت لفرنسا.

وبمقتضى نفس المعاهدة كان لفرنسا امتياز صيد المرجان على الساحل الشرقي للجزائر بشرط أن تدفع هي 60 ألف فرنك سنويا مقابل ذلك وبعد سنتين(1819م) من المعاهدة طلب الداي من الفرنسيين 200 ألف فرنك ففعلوا وفي سنة (1826م) أصدر الداي

---

[1]– موريس دو تاليران: (1754– 1838م) سياسي ورجل دولة فرنسي، أصيب بعاهة في قدمه وهو صغير، كان في صغره قسيسا ولكنه انحرف، أنتخب عام 1790م رئيسا للجمعية الوطنية، وفي عام 1797م أصبح وزيرا للعلاقات الخارجية قربه نابليون وأنعم عليه بلقب أمير، مثل فرنسا في مؤتمر فيينا وعند عودة الملكية أصبح سفيرا بلندن (1830– 1834م) وهو الذي يعد نموذجا للذكاء والانتهازية. للمزيد من التفاصيل أنظر: محمد حسام النايف، المرجع السابق، ص126.

[2]– عمار بوحوش: المرجع السابق، ص85.

[3]– نفس المرجع، ص85.

[4]– هي مصدر من فعل امتاز؛ يمتاز أي حصل على درجة إمتياز أي حصل على درجة إمتياز أو مكانة عالية وهي ترجمة للكلمة الفرنسية Capitulations وورد عند الإغريق Caput والتي تعني معاهدات ذات بنود ونصوص شملت مختلف ميادين الحياة الدينية، السياسية، والتجارية. للمزيد أنظر: G. Pélissie de Rausas : Le regime des capitulations dans l’empire ottoman,T_1, Arthur Rousseau, Paris, 1902, p1

قرارًا يمنح بمقتضاه الحرية لكل الدول في صيد المرجان، وهو الأمر الذي اعتبرته فرنسا ضربا لحقوقها المشروعة ونقضا للمعاهدات والاتفاقيات السابقة[1].

كما أن احتلال الجزائر يدخل ضمن التنافس الفرنسي البريطاني على حركة المبادلات التجارية في البحر الأبيض المتوسط، خاصة عندما نعلم أن الداي قد أعطى الحقوق التجارية التي كانت في وقت قريب حكرا على الفرنسيين للإنكليز على خلفية توتر العلاقات الفرنسية الجزائرية وهو التصرف الذي أغضب فرنسا التي ادعت أنها صاحبة الحق في الممتلكات بناءا على الامتيازات الممنوحة منذ القرن السادس عشر.

وأخيرا قضية الديون التي ترجع جذورها إلى زمن سابق حين كانت فرنسا أثناء ثورتها في حاجة ماسة إلى القمح، وقد كان موقف الجزائر من هذه القضية موقفا كريما، فألغت القيود المفروضة على تصدير الحبوب لفرنسا، ومن هذا المنطلق نذكر أن هذه الديون كانت على نوعين من القروض التي قدمتها الجزائر لحكومة الثورة الفرنسية:

الأول: هو القرض الحكومي لاستيراد القمح الجزائري وهو ما اعترفت به فرنسا بعد مفاوضات عسيرة.

الثاني: القرض الذي منحه الداي حسين أيضا للحكومة الفرنسية ولكن من طبيعة أخرى لأنه عيني أي نقد بالمال مباشرة قدره مؤرخان فرنسيان هما **دوغرامون** و**كاط** بمبلغ خمسة ملايين فرنكات ذهبية[2].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص260.

[2]– مولود بلقاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص201.

ولكن التسديد طال كثيرا وبقي سنوات عديدة، وكان الاعتراف باسم بكري[1] وشريكه ميكائيل بوجناح[2] وهما يهوديان لعبا دور الوسيط بين الجزائر وفرنسا، ففي سنة 1798م استطاع التاجران أن يحصلا على موافقة الداي باحتكار تجارة الحبوب مقابل دفع علاوات عالية للدولة، وفي نفس الوقت قاما بإقناع المسؤولين الفرنسيين وخاصة تاليران وزير خارجية فرنسا باستيراد القمح الجزائري من شركتهما بدلا من استيراده كما جرت العادة من الوكالة الوطنية لإفريقيا، ومن هذا المنطلق تواطئت الشركة اليهودية مع قنصل فرنسا بالجزائر ووزير خارجيتها وقامت بمخادعة حكومة الأتراك بحيث تراخت في سعيها لقبض ما تبقى من ديون الجزائر في ذمة فرنسا وذلك إمعانا منها في تعقيد القضية وإحداث مشاكل مع فرنسا وتعكير صفو العلاقات الجزائرية الفرنسية والذي سيؤدي لاحقا إلى إعلان الحرب على الجزائر انطلاقا من هذه المشكلة[3].

د- الدوافع الدينية

يعتبر الغزو الفرنسي للجزائر حلقة من حلقات الصراع الإسلامي المسيحي وفصلا أخر من فصول الحروب الصليبية، وقد أفصح عن هذا الإتجاه شارل العاشر ملك فرنسا يوم أعلن في مارس 1830م " **إن التعويض الحاسم الذي أريد الحصول عليه وأنا أثأر لشرف فرنسا، أن يتحول بمعونة الله إلى مسيحية** ".

---

[1]- الإسم الكامل لبكري هو ميشيل كوهين بكري المعروف باسمه المستعرب إبن زاهوت، وكان صاحب تجارة في أوروبا قبل أن يفتح له في مدينة الجزائر مركزا سنة 1770م، وكان هذا المركز متواضعا في البداية ليتحول بعد ازدياد نفوذ بكري التجاري إلى مؤسسة تجارية كبيرة. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص14.

[2]- بوشناق نفتالي هو صهر بكري المعروف باسمه المستعرب بوجناح جاء للجزائر حوالي 1763م وبدأ بحياة متواضعة في تجارة الخردوات. للمزيد أنظر: نفس المرجع، ص14.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص140.

ونفس التعبير نجده في التقرير الذي رفعه وزير الحربية الفرنسية إلى مجلس الوزراء الفرنسي يوم 14 أكتوبر 1827م حين قال: " **لعله في الوقت سيكون من حظنا أن نمدنهم وذلك بجعلهم مسحيين** "[1].

وبالعودة قليلا إلى الوراء نجد أن القادة الفرنسيين تأثروا إلى حد بعيد بمنظري دعاة نشر المسيحية في شمال إفريقيا، ففي التاسع من أفريل 1817م وضع شاطوبريان أمام البرلمان مقترحا لاستعمار المغرب العربي وجعل الجزائر مركزا له جاء فيه على الأخص ما يلي:" **أليس يتعين على الفرنسيين الذين خلقوا للمجد والأعمال العظيمة أن يكملوا العمل الذي شرع فيه أسلافهم، ففي فرنسا وقعت الدعوة للحرب الصليبية الأولى، وفي فرنسا يجب أن ترفع راية الحرب الصليبية الأخيرة** "[2].

وينبه **الغزالي** إلى أن ثمة أمر يحتم على المسحيين الإتجاه إلى الاستعمار وهو فقدان المسيحية لوسائل الإقناع وعجز الكنيسة على شرح العقائد النصرانية في ضوء المعطيات العقلية، فإذا أراد النصارى بعد ذلك نشر ديانتهم لم يجدوا سوى السيف بديلا يستجيب الناس من خلاله لمنطق القوة والغلبة، فكان الاستعمار حلا ناجعا لقصور العقائد والعبادات النصرانية[3]، والأحداث والوقائع التاريخية تدل على أن الفرنسيين كانوا يكرهون الشعوب الإسلامية عموما باسم التعصب الديني، فقالوا للبابا أنهم سيرفعون الصليب ويخفضون الهلال في الجزائر فأيد وتحمس وبارك ودعا به بالنصر[4].

وقد أكد هذا التوجه غالبير حين عنون أحد فصوله " **غزو الجزائر في صالح المسيحية كلها**" وقد صرح " **إن احتلال فرنسا عاصمة الجزائر يضمن انتصار كل من الحضارة والمسيحية في الوقت نفسه في أرض إفريقيا** "،

---

[1]– عمار بوحوش: المرجع السابق، ص81.

[2]– مبارك الميلي: المرجع السابق، ص283.

[3]– منقذ بن محمود السقار: الإستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، (د.م.ن)، السعودية، 2007، ص7.

[4]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، صص16–17.

La prise d'Alger par les francais assurait à la fois sur la terre d'afrique le trionphe de la livilisation et du cristialism[1]

[1]– مولود بلقاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص251.

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية وانعكاساتها

المطلب الأول: النتائج السياسية والإقتصادية

1-على الصعيد السياسي:

أ- إستسلام الداي حسين ونهاية الحكم العثماني بالجزائر

عقب فشل حكومة الداي حسين في صد الحملة الفرنسية ونجاح هذه الأخيرة في الإنزال والتقدم نحو العاصمة، انتهى آخر فصل من فصول الحكم العثماني بالجزائر، فبعد استيلاء الفرنسيين على قلعة مولاي حسن جمع حسين باشا أمناء الطوائف وأعيان المدينة ورجال القانون والدين وشرح لهم الوضع الذي عليه البلاد وطلب منهم النصيحة فيما يفعل لمواجهة الموقف، وقد وضع أمامهم السؤال الثاني: هل تعتقدون أنه من الصواب مواصلة المقاومة ضد الفرنسيين أو يجب تسليم المدينة إليهم والتوقيع على معاهدة استلام؟ تبعا لذلك في ليلة 02 جويلية 1830م أي قبل ثلاثة أيام من دخول الجيش الفرنسي للمدينة، اجتمع عدد من أعيان مدينة الجزائر في قلعة باب البحرية، لقد كان هؤلاء يمثلون التجار وأرباب الأعمال والمال وقرروا أن ضياع المدينة أصبح أمرا محتما، وأنه إذا دخلها الفرنسيون عنوة فإنهم سيبيحونها وينهبون ثرواتها ويعتدون على النساء ويقتلون الأطفال، ورأوا تفاديا لذلك قبول مقترح الباشا الذي ينص على الإستّلام بعد توقيع معاهدة وكان لسان حالهم يقول أن أمة شريفة مثل فرنسا لا يمكن أن تعد ولا تفي[1].

وفي اليوم المعين 04 جويلية 1830م أرسل الداي حسين كاتبه مصطفى مصحوبا بالقنصل الإنكليزي إلى مقر القيادة الفرنسية للتفاوض مع بورمون، ومع الوقت المذكور ذهب أيضا أحمد بوضربة وحسن بن حمدان بن عثمان خوجة بعنوان مترجمين[2].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، المرجع السابق، صص44- 45 .

[2]- نفس المرجع، ص 45.

والحقيقة أن إشارة الداي لقبول الاستسلام للفرنسيين وتسليم المدينة حسب نصوص معاهدة يمضيها تدل دلالة واضحة على قناعته بأنه غير قادر على المقاومة وأن انهيار حكومته هي مسألة وقت فقط[1].

وبعد التفاوض ومراجعة الباشا وقعت المعاهدة التالية يوم 05 جويلية 1830م[2] التي نصت على مايلي:

- تسليم حصن القصبة وجميع حصون مدينة الجزائر وأبوابها للفرنسيين.
- يضمن القائد الفرنسي حرية الداي وكل ممتلكاته الشخصية.
- تترك الحرية للداي في الإقامة أو الرحيل إلى أي مكان يريده ويتعهد القائد الفرنسي بحمايته هو وأسرته في حال تفضيله البقاء.
- عدم اتخاذ أي إجراءات ضد إقامة الشعائر الدين الإسلامي وصيانة أملاك الأهالي وتجارتهم وصناعاتهم[3].

ب- **إقرار الحكم الفرنسي على الجزائر**

قام رئيس مجلس الوزاء الفرنسي "**بولينياك**" بإعداد الخطة وعرضها على مجلس الوزراء وتتمثل فيما ينبغي أن تكون عليه الجزائر بعد الانتصار عليها واقترح عليهم الاختيار بين البدائل التالية:

- إبقاء الداي في حكم الجزائر على أن تشرف فرنسا عليه من الناحية العسكرية فيحدد له عدد الجيش والأسطول الذي يستطيع الداي الاحتفاظ به.
- إعادة الجزائر إلى الدولة العثمانية لإنشاء حكومة منظمة فيها تضمن احترام الجزائريين للملاحة في البحر المتوسط.

---

[1]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص91.

[2]- للإطلاع على معاهدة إستسلام الجزائر في الخامس من جويلية 1830م، أنظر ملحق رقم03، ص139.

[3]- شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 261.

- أن تتقاسم فرنسا إدارة الجزائر مع الدول الأوروبية التي لها حقوق مشروعة فيها وخاصة إنكلترا.
- أن تحتل فرنسا الجزائر بصورة دائمة وتطبق عليها حكمها بصفة مباشرة.

وطبعا فإن الحل المقترح في النقطة الرابعة هو الذي وقع عليه الاختيار بعد الانتصار الفرنسي على الداي وإنهيار حكومته[1]، وهو الأمر المناقض تماما لتصريحات الحكومة الفرنسية قبيل الحملة في البيان الذي وزعته على الجزائريين على أن هدف الحملة هو الانتقام لشرف فرنسا الذي أهانه الداي حسين ومن ثمة فإن الحملة تكون على هذا النحو حملة انتقامية تؤدي دورها بتأديب الداي ثم تنسحب لكن حدث عكس ذلك[2].

وفي 06 جويلية 1830م دخل الجنود الفرنسيون تحت تأطير قائدهم ومسؤوليهم مدينة الجزائر من الباب الجديد بأعلى المدينة وأنزلت أعلام دولة الداي من جميع القلاع والأبراج وارتفعت في مكانها رايات الاحتلال الفرنسي[3].

ثم تلى ذلك استسلام باي وهران حسن باي، وباي التيطري مصطفى بومرزاق للسلطات الفرنسية، لتسقط بذلك بقية المدن الساحلية الهامة كوهران 1831م وعنابة 1832م وبجاية ومستغانم وأرزيو 1833م[4].

جـ- اندلاع المقاومة الشعبية

مما سبق يمكن أن نستنتج أن استسلام حسين باشا وتوقيع معادة السلام والخضوع لفرنسا لم تكن هي نهاية المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي، فانهزام فئة الحاكمين اللذين ينحدرون في معظمهم من أصل تركي كان بداية لمقاومة شعبية حقيقية من أبناء الجزائر

---

[1]- عمار بوحوش: المرجع السابق، صص 96 – 97.

[2]- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص 17.

[3]- عمار بوحوش: نفس المرجع، ص100.

[4]- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص64.

الأصليين[1]، فرغم تمكن الغزاة بعد ثلاثة أعوام من احتلال كافة المدن الساحلية الهامة، والتوسع في سهل متيجة، إلا أن الشعب اعتبرهم عدوا لا يمكن الاستكانة إليه أو الخضوع له بسبب العوامل الدينية والوطنية، ونظرا لسياسة البطش والتنكيل والتدنيس انتهج الشعب خيار الكفاح والمقاومة[2].

وقد مرت مقاومة الشعب الجزائري بمرحلتين، مرحلة المقاومة المنظمة (1830-1847م) وشملت جهات واسعة، تحت قيادة موحدة بتنظيمات إدارية وعسكرية، وأهداف وطنية لمدة طويلة نسبيا وأشهرها مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي في الشرق الجزائري، ومرحلة المقاومة الشعبية ما بين (1847م ومطلع القرن العشرين) لأنها افتقرت لجل العناصر السالفة الذكر منها ثورة الزعاطشة 1849م، ثورة القبائل (1851-1857م) بقيادة الشريف بوبغلة ولالة فاطمة نسومر[3].

2- على الصعيد الإقتصادي:

في الميدان الاقتصادي كانت التبعات والتداعيات عسيرة على المجتمع الجزائري في ظل التغيير الكبير والفرق الشاسع الذي طال هذا الميدان مقارنة بالعهد العثماني، فقد عمل النظام الفرنسي على تركيز الملكية الفردية على حساب الملكية الجماعية أو ما يعرف بالملكية المشاعة، وشجع تكديسها في أيدي الكولون الأمر الذي جعل التفاوت الطبقي أبرز ميزات الاقتصاد الجزائري. وفي هذا الصدد صرح الجنرال كلوزيل[4] سنة 1835م مخاطبا

---

[1]- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص107.

[2]- بشير بلاح: المرجع السابق، ص72.

[3]- نفس المرجع، ص74.

[4]- برتنارد كلوزيل: ولد في 12 ديسمبر 1772م في ميربوا بفرنسا، تولى عدة وظائف في الجيش والسفارة الفرنسية في إسبانيا، أصبح نائبا في البرلمان، تولى القيادة العسكرية بدل دي بورمون في 1830م، عين كماريشال في الجزائر سنة 1835م وعزل منها عقب فشله في حملة قسنطينة، توفي عام 1843م. للمزيد من المعلومات أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص36.

المعمرين " **لكم أن تنشأوا من المزارع ما تشاؤون، ولكم أن تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها، وكونوا على يقين أننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة** "[1].

وفي شهادة أخرى من أحد جنرالات فرنسا المسمى **برو** في رسالة كتبها إلى شقيقه في العاصمة الفرنسية باريس يوم 18 فيفري 1834م ورد فيها مايلي:" **تسألني أين صار استعمارنا؟ أقول لك أنه اقتصر حتى الأن على مصادرة وامتلاك الأراضي، إننا نلعب هنا على الأراضي كما نلعب في البورصة على الأسهم** "[2].

وفي سياق متصل تراجع الإنتاج الجزائري من الزراعة إلى مستويات غير مسبوقة نتيجة حالة اللاإستقرار واللأمن الذي شهدته الجزائر في السنوات الأولى من الإحتلال يؤكده تصريح وزير الحرب الفرنسي الجنرال برنار في البرلمان الفرنسي سنة 1833م في معرض شرحه لأعمال جنوده الإجرامية في الجزائر حيث قال: " **يجب أن ندخل في الحساب كل شيء حتى إبادة السكان المحليين فربما كان الهدم والحرق وتخريب الزراعة والمحاصيل هي الوسائل الوحيدة لتثبيت سيطرتنا في الجزائر**"[3].

وفي خطوة موازية عملت على توجيه وإعادة هيكلة الإنتاج الزراعي وفق ما يتماشى وسياستها الاقتصادية، فبعد أن كانت الحبوب الدعامة الرئيسية التي استند عليها الاقتصاد لقرون مضت، بدأ التوسع الكبير في زراعة الكروم وهو الموجه أساسا لإنتاج الخمور إشباعا لحاجات المستوطنين و تلبية للطلب الخارجي عن هذا المنتوج، وقد لاقت هذه السياسة نجاحا كبيرا بفضل القروض السخية التي كانت تمنحها الحكومة الفرنسية ممثلة في بنك القرض الفلاحي وغيره لصالح هذه المحاصيل.

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص 69.

[2]– نفسه، ص70.

[3]– رابح لونيسي وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص70.

وقد تركزت مساحات العنب الجديدة بالجهات الغربية للوطن (سهول عين تيموشنت ووهران، هضاب مستغانم، تلال تلمسان ومعسكر) يليها الوسط (هضاب ملیانة وساحل العاصمة) فالشرق (عنابة وسكيكدة) وفيما يلي جدول يبين تطورها:

السنة	1880	1895	1905	1923	1930	1939	1953
المساحة بالهكتار	23700	122000	179950	180914	271300	411131	371878

وفي سياق متصل عمدت السلطات الفرنسية إلى إقامة مصانع كبيرة لإنتاج الخمور ما جعل الجزائر تصبح ثالث منتج للخمور وأحد أكبر المصدرين له وهو الذي أصبح يمثل ثلث قيمة صادرات الدولة[1].

وفي إجراء آخر وضعت السلطات الفرنسية نصب أعينها لاستغلال الثروات الباطنية والسطحية التي كانت تزخر بها مناطق عدة من الجزائر، فاهتمت بإنشاء شبكات من السكك الحديدية لتسهيل استغلال المناجم ونقل المعادن إلى موانئ التصدير كان من أهمها خط الجزائر– البليدة الذي دشن عام 1862م والخط الرابط بين قسنطينة وسكيكدة عام 1870م من أجل التوسع في استغلال المعادن كالحديد والنحاس والرصاص[2].

وفي الميدان التجاري فإن السلطات الاستعمارية قد قامت بغلق أبواب الأسواق التي كانت تتعامل معها الجزائر في العهد العثماني، خاصة تونس والمغرب الأقصى، وكذلك إفريقيا جنوب الصحراء وحصرت التعامل الخارجي بالأسواق الفرنسية فقط، وقد ظلت التجارة الخارجية الجزائريةَ ضعيفة جدا إلى غاية 1851م عندما سنت أول منظومة جمركية خاصة بالجزائر واضحة المعالم والأهداف وتم فتح الأبواب لتصدير السلع الجزائرية إلى الخارج واستقبال السلع الأجنبية في الجزائر، والدليل على هذا الضعف هو قيمة الصادرات الجزائرية

[1]– رابح لونيسي وآخرون: المرجع السابق، صص94– 95.

[2]– نفس المرجع، ص97.

في هذه الفترة ما بين 1831- 1850م إذ كانت تتراوح مابين مليون وثلاثة ملايين فرنك[1]، أما عن التجارة الداخلية فيلخص أوضاعها قول الرحالة الألماني شيمبر"**إن التجار الفرنسيين هم سبب المحن التي حلت بالجزائر فهم لا يعرضون بضائعهم في الأسواق إلا بعد أن يتحول النقص في المواد الغذائية إلى مجاعة، ثم إنهم حريصون على القضاء على التجار الصغار الشرفاء، حتى لا يفقدوا شيئا من تجارتهم وأنذل هؤلاء التجار هم اليهود المعمدون**"[2].

والمعروف من دوافع الحملة أن الفرنسيين كانوا يطمعون في خزينة الجزائر التي سمعوا بثرائها، فالفكرة الرائجة لديهم أن الجزائر بلد ثري ببضائع القرصنة وتحف الشرق وذهب إفريقيا وعبيدها، فكان الكثير من المشاركين في الجملة يحلمون بملء الجيوب والبطون، قدر الفرنسيون رسميا قيمة الخزينة بـ 55684527 فرنك موزعة على النحو التالي:

- ذهب وفضة وجواهر: 48684527 فرنك.
- صوف وبضائع أخرى: 3000000 فرنك.
- قيمة مدافع ارسلت الى فرنسا: 4000000 فرنك[3].

أما الحسابات الخاصة "**غير الرسمية**" للخزينة فقد أثبتت أن قيمتها 400000000 فرنك، ثم يلخص غالبير الفرق بين المصروف على الحملة والمدخول منها فيقول " **وعوض أن يكبد غزو الجزائر فرنسا خسارة، فقد غطى تكاليفه، وأدخل فائضا الى خزينة الدولة قدر بعدة ملايين**"، ثم يضيف " **ومن المال فقط غطينا تكاليف الحملة، وبقي لنا فائض قدر بسبعة ملايين ومائة وأربعة وثمانين ألف وخمسمائة وسبعة وعشرين فرنك 7184527 فرنك** ".

---

[1]- الغالي غربي: العدوان الفرنسي.....، المرجع السابق، صص24- 25.

[2]- أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص17.

[3]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1، ص24.

وكانت من جملة الغنائم التي أخذوها، مدافع برونزية كثيرة كان شاركان يوم 25 فيفير 1525م قد غنمها من فرانسوا الأول في بافيا وغنمها الجزائريون بدورهم عن شارلكان في أكتوبر 1541م وكان الداي حسين خصوصا يريها للقناصل والمبعوثين الخاصين للدول الأوروبية كشهادة للدولة الجزائرية[1].

المطلب الثاني: التداعيات على المستوى الديني والإجتماعي

1- على الصعيد الديني:

مما لا شك فيه أن تعرض المجتمع الجزائري إلى الإبادة الشاملة كان عن قصد استعماري، لذا كان من الضروري على الإدارة الاستعمارية الفرنسية التركيز بالدرجة الأولى على ارتكاب جرائم في حق المؤسسات الدينية والثقافية على حد سواء لما قدمته من حصانة للمجتمع في تكوين واقعه الثقافي وتوجهه الروحي.

إن المؤسسات الدينية بكل أنواعها كانت تقوم على قواعد رسخت بموجبها ذلك الترابط الفطري بين أفراد المجتمع الجزائري في التضامن والتآخي باسم الدين، وهذا ما جعل الجزائر آنذاك تشكل لبنة حضارية قوية ذات طابع إسلامي في قالب جزائري عثماني، وعندما تأكدت السلطات الاستعمارية أن المؤسسات الدينية هي الرابط القوي الذي يربط المجتمع الجزائري في مواجهة أي تيار غريب عن الوطن خاصة إذا كان صليبية انتهجت سياسة الهدم والإقصاء في حقها[2].

كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يهدف إلى غايتين أساسيتين، غزو الأرض ثم غزو الأفكار " **الغزو العسكري ثم الغزو الفكري** " وقام بتنفيذ الغرض الأول العسكري، بينما أسند الغرض الثاني لرجال الدين، فحين دخل الجنرال دوبرمون للمقاومة ورجال الدين قائلا:

---

[1]- مولود بلقاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص253.

[2]- بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص151.

" انكم اعتمرتم معنا فتح الباب للمسيحية في أفريقيا ولنأمل أن ينبغ قريبا الحضارة التي إنطفأت في هذه الربوع "[1].

أ- المساجد

تعد من أبرز المؤسسات الدينية التي حافظت على مقوّمات الشعب الدينية والوطنية، وكانت مركزا للجهاد ضد الاحتلال لذلك لم تغمض عين هذا الأخير عن نشاطها وفعاليتها، وبالتالي عمد إلى الإستيلاء عليها وتحويل أغلبها إلى مرافق ومصالح أخرى والبقية منها تعرضت للهدم، ففي العاصمة الجزائر وحدها قبل احتلالها كانت بها 176 مسجد لتصل عام 1899م إلى خمسة فقط وأهم المساجد التي عبث بها الاحتلال هي:

- جامع القصبة حول إلى كنيسة وأصبح يسمى كنيسة الصليب المقدس.
- جامع علي بتشين حول إلى كنيسة أطلق عليها كنيسة سيدة النصر وهو المسجد الذي شيد عام 1623م.
- جامع كتشاوة حول عام 1832م إلى كنيسة بعد قتل عدد كبير من المصلين المعتصمين داخله فاق 4000 في عديد المصادر.
- مسجد القائد علي حول إلى مقر جمعية أخوات القديس جوزيف.

كذلك مدينة تلمسان التي كان بها أكثر من 18 جامعا، فقد تعرض البعض منها إلى الهدم والتحويل وكان مسجد سيدي أبي الحسن الذي بني عام 1279م من أعرق المساجد حول إلى متحف[2].

ب- الزوايا

لقد تعرضت الزوايا إلى نفس أعمال الهدم والبيع والتحويل فكان مصيرها نفس مصير الجوامع والمساجد، وحسب الإحصائيات فقد تجاوز عدد الزوايا التعليمية وحدها قبل

[1]- عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص66.

[2]- بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص 152.

الاحتلال 349 زاوية وكانت ذات بعد اجتماعي وديني وثقافي، فإلى كونها تأوي العجزة والمسافرين والغرباء وعابري السبيل فإنها كانت من ناحية أخرى محطات علمية لطالبي العلم كحفظ القرآن وأصول الدين والمنطق والحساب...إلخ، هذا الدور الريادي هو الذي دفع بسلطات الاحتلال إلى القضاء عليها بكل الوسائل والطرق المتاحة ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

- زاوية الشرفة التي أسسها محمد بقطاش سنة 1709م، استولى عليها جيش الاحتلال بعد الحملة ثم استولت عليها نهائيا سنة 1841م بعدها حولت إلى فندق.
- زاوية سيدي عامر التنسي هدمت عام 1830م، وبنيت على أنقاضها ثكنة عسكرية[1].

جـ- الأوقاف[2]

عملت السلطات الفرنسية منذ أن وطئت أقدامها أرض الجزائر إلى محاربة الأوقاف الإسلامية والاستيلاء عليها باعتبارها الراعي والممول الرئيسي للأنشطة الدينية والثقافية، وفي نفس الوقت تشكل عائقا كبيرا في وجه المخطط الاستعماري وهذا ما دفع أحد الكتاب الفرنسيين إلى القول " **إن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية وتتنافى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الفرنسي في الجزائر** "[3]، والحقيقة أن الدين الإسلامي ما شرع الوقف إلا ليقوم بواجبات دينية واجتماعية فينفق فيها على المساجد وعلى القائمين عليها من غير احتياج للخزينة العامة " **بيت المال** "[4].

---

[1]- بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص155.

[2]- الأوقاف: يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله في تعريف الوقف " هو نظام إسلامي معروف له أهمية اجتماعية واقتصادية وعلمية في المجتمع، استحدثه المسلمون لتوفير المال والسكن وغيرهما من المساعدات للعلماء والطلبة والفقراء وصيانة المؤسسات التي أنشأت لهذه الأغراض كالطرق والمساجد والمدارس والزوايا...إلخ ". للمزيد أنظر: الغالي غربي، العدوان الفرنسي.....، المرجع السابق، ص272.

[3]- رابح لونيسي وآخرون: المرجع السابق، ص72.

[4]- عبد الرحمان بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954م، ج3، ط2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008، صص80- 81.

ومن هذا المنطلق أصدرت الحكومة الفرنسية عدة قرارات ومراسيم تهدف تدريجيا لتصفية أملاك الحبوس من مساجد ومعاهد وأراضي وإدخالها في نطاق التبادل التجاري كي يسهل للأوروبيين امتلاكها، ففي 08 سبتمبر 1830م أقرت مرسوما يحدد ملكية الدولة سمح لها بالاستيلاء على أملاك الأتراك، وفي 07 ديسمبر من نفس السنة أصدرت قرارا بانتقال الحبوس إلى المعمرين الأوروبيين ثم ظهر مرسوم 30 أكتوبر 1858م أدخلت بموجبه أملاك الأوقاف في مجال المبادلات التجارية، وأخيرا جاء قانون 1873م صودرت من خلاله نهائيا كل أملاك الأوقاف[1].

د- التنصير

ارتبطت العمليات التبشيرية المسيحية بالاحتلال والسياسة الاستعمارية منذ الوهلة الأولى، ففي سنة 1835م استقر بالجزائر العاصمة أخوات القديس جوزيف ومن بعدهم ما يعرف بالراهبات الثالوثيات وشرعن في عملهن التبشيري إلى غاية 1838م تاريخ تأسيس أول أسقفية كاثوليكية بمدينة الجزائر وقد تزايد عدد رجال الدين بتزايد المستوطنين فاستقروا في مختلف مدن الجزائر وأنشأوا عام 1842م دار لليتامى وفتحوا بوهران وقسنطينة وعنابة دار للرحمة ومدارس للأيتام وقاعات لعلاج المرضى وتشييد الكنائس بدعم من السلطات الفرنسية على رأسهم بيجو، وهذا العمل كله يدخل ضمن إطار السياسة الاستعمارية الهادفة إلى محو الهوية الجزائرية وهذا ما كان يتمناه رجال الدين حيث رأوا في احتلال الجزائر فتحا مسيحيا وبداية إعادة أمجاد الماضي وتحقيق الحلم القديم حلم إفريقيا المسيحية، وهكذا بعد أن احتلوا الجزائر ماديا أرادوا أن يقضوا عليها روحيا كما قال المؤرخ الفرنسي غوتي: "**حاولت فرنسا في الجزائر أن تجعل من أرض شرقية أرضا غربية** "[2].

---

[1]- رابح لونيسي وآخرون: المرجع السابق، 72.

[2]- نفس المرجع، ص73.

وتدعيما لهذا النهج بعث البابا يوم 12 جانفي 1867م الكاردينال لافيجري إلى الجزائر لتفيذ سياسة تنصير واسعة النطاق حددها بالقول " **علينا أن نجعل من الجزائر مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منبع وحيها الإنجيل تلك هي رسالتنا** "[1].

2- على الصعيد الاجتماعي:

كانت الحملة الفرنسية كارثة حقيقية على الصعيد الاجتماعي نظرا للتبعات الوخيمة التي أعقبت عملية الغزو، فعلى الصعيد الإنساني توجد مئات الشواهد التي تدل على تجاوزات السلطات الفرنسية في حق الجزائريين، يضرب شيمبر مثالا من عديد المجازر التي عاصرها فيقول في شأن حادثة العوفية " **دخلت القوات الفرنسية القبيلة وحاصرتها وهجمت على أفرادها وهم نيام في خيامهم وقتلتهم جميعا رجالا ونساءا وأطفالا، ثم عادوا منتصرين وساروا في المنطقة الفرنسية على أوحش صورة وأشنعها، ذلك أن الجنود كانوا قد قطعوا رؤوس القتلى وشدوها بالحبال فوق أكتافهم وجابوا بها الشوارع** "[2].

وقد ورد في أحد تقارير الجنرال الفرنسي برنار الرسمية التي رفعها إلى شارل العاشر " **ولسنا بحاجة إلى إقناع جديد بأنه لا إستقرار للأمن في الجزائر إلا بإبادة أهلها عن بكرة أبيهم** "، وقد ذهب الجنرال كلوزيل إلى أبعد من ذلك " **بالصبر والمثابرة سيعيش هنا شعب جديد وسوف يكبر ويزيد بأسرع مما كبر وزاد الشعب الذي عبر المحيط واستقر في أمريكا منذ بضعة قرون** "[3].

وفي نفس الاتجاه يذهب فاغنر إذ يرى أن دناءة الفرنسيين تجلت بوضوح في فتح القبور والأضرحة الجميلة بحثا عن الأموال والذهب، وأفضع من ذلك يضيف نفس المتحدث

---

[1]- رابح لونيسي وآخرون: المرجع السابق، ص73.

[2]- أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص19.

[3]- رابح لونيسي وآخرون: نفس المرجع، ص69.

أن الفرنسيين أخذوا عظام الموتى وحملوها بالسفن إلى فرنسا لبيعها لمعامل مسحوق العظام ومسؤولية هذه الأعمال البغيظة تقع على عاتق روفيغو[1].

وبين سنتي 1867 و1868م نتيجة لسياسة الأرض المحروقة ومصادرة الأراضي واجتياح الجراد أدت إلى مجاعة مست معظم مناطق البلاد وعلى الأخص مدينة قسنطينة والهضاب العليا وكانت نتيجتها وفاة حوالي 500000 جزائري، ومن بقي منهم اضطر لأكل الحشيش ولحم القطط والكلاب، وأما المعمرين فكانوا في مأمن من هذا البلاء وعوض أن يقدموا المساعدة الإنسانية اللازمة طالبوا السلطات الفرنسية بإبعادهم من مزابل مساكنهم حيث كانوا يبحثون عن بقايا الأطعمة[2].

أ- الإستيطان

عندما استقرت الأوضاع لفرنسا في الجزائر عملت بدرجة قصوى على تغيير البنى الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، وقد لعب الاستيطان دورا رياديا في هذا التغيير الذي أدى إلى التأثير المباشر والجوهري على المجتمع ووضعه الديموغرافي وتشكيله الطبقي، فعندما نقارن أوضاع المنطقة في ظل السيطرة الغربية بالعهد السابق نجد أن الأتراك أبقوا على البنية الاجتماعية المحلية بل استخدموها واستفادو منها، أما الاستعمار الفرنسي فلم يستطع استغلال المنطقة إلا بتحطيم الأسس الذاتية للسكان عن طريق الإستيطان بالدرجة الأولى[3].

ولجلب المستعمرين الأوروبيين عرضت عليهم فرنسا عدة امتيازات كدفعها لتكاليف السفر وتوزيع الأراضي الفلاحية مجانا وإنشاء مساكن لهم...إلخ، وهذا الإجراء هدف للتخلص من مشكل البطالة التي كانت متفشية في باريس فبعثت العمال المطرودين من المصانع إلى الجزائر وقد أدت هذه السياسة إلى إغراق المنطقة بالمهاجرين وأنشأت أول مستوطنة أوروبية بمنطقة بوفاريك سنة 1836م، ومما يمكن الإشارة إليه أن اشتداد المقاومة

---

[1]- أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص36.

[2]- رابح لونيسي وآخرون: المرجع السابق، ص72.

[3]- عبد المالك خلف التميمي: الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي، عالم المعرفة، الكويت، 1983، ص15.

الجزائرية واستمراريتها شكلت عائقا أمام سياسة الاستيطان وأربكت سياسة التهجير، ولكن بعد القضاء على المقاومة شهدت حركة الهجرة طفرة حقيقية تؤكدها الإحصائيات الرسمية من خلال تواجد حوالي 28 ألف مستوطن في الجزائر سنة 1840م، ليقفز العدد إلى 109 ألاف سنة 1848م، واستمر في التزايد إلى أن وصل العدد إلى حوالي 657671 مستوطن عام 1929م[1].

ب- **الضرائب**

لعل أهم الضرائب التي كانت سارية المفعول في العهد العثماني نذكر ضريبة الزكاة والعشور، اللزمة وضريبة السخرة، وقد ضاعفت السلطات الفرنسية بعد غزوها للجزائر قيمة الضريبة إلى مستويات أثقلت كامل الجزائريين وقد اعتبرها أحد الحقوقيين الفرنسيين لفداحتها وعدم شرعيتها " **ثمن هزيمة الجزائريين**"[2] أو كما علق حمدان بن عثمان خوجة " **أن سلوك الفرنسيين وإدارتهم في الجزائر لم يؤد إلا لتنفير قلوب الجزائريين والإفريقيين بصفة عامة**"[3]، ففرضوا الضرائب المباشرة كضريبة المهنة وضريبة العقار، إقامة الأسواق وضرائب على الكلاب وثيران الحراثة والضرائب غير المباشرة والغرامات الباهضة، وإجمالا فقد كان الجزائريون يدفعون أواخر قرن 19 ضعف ما يدفعه الكولون على شدة إملاقهم وبؤسهم، حيث زادت قيمة الضرائب التي ابتزها الفرنسيون من الجزائريين من نحو 22 مليون فرنك 1870م إلى 40 مليون عام 1890م ففي حين كانوا لا يملكون سوى 38% من ثروة الجزائر فقد دفعوا ما نسبته 76% من مجموع الضرائب.

---

[1]- رابح لونيسي وآخرون: المرجع السابق، ص71.

[2]- نفس المرجع، ص97.

[3]- عثمان بن حمدان خوجة: المصدر السابق، ص267.

جـ- الهجرة[1]

تعود جذورها لسنة 1832م لأنها السنة التي تفجر فيها اضطهاد فرنسا للجزائريين أكثر من أي وقت مضى ممثلا في عملية الإبادة والغرامات، فقد ضاقت الجزائر بأهلها على رحابتها وغدت الحياة لا تطاق فيها حين عمها ظلم الاستعمار وظلامه وتواجه الظروف الاجتماعية من جهل وفقر ومرض وشقاء تام، ما حدى ببعض الجزائريين الهجرة إلى تونس والمغرب كخطوة أولى ثم المشرق كخطوة ثانية نظرا لملائمة البيئة الدينية وثقافية ولاحتضانه لأهم الأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة وإحتفاضه باستقلاله تحت راية الخلافة العثمانية وقد قدرها الدكتور أبو القاسم سعد الله من 1830 إلى 1911م استنادا للمصادر الفرنسية بنحو 20 ألف مهاجر في سوريا، من 10 إلى 15 ألف في مصر، من 5 إلى 7500 في شبه جزيرة العرب، من 2500 إلى 3000 في فلسطين و 5 إلى 6 ألاف في تركيا الحالية، إضافة إلى أعداد أخرى في إيران والهند والولايات العربية من الدولة العثمانية[2].

د- التعليم

أما في ميدان التعليم فكما هو معروف ومثبت تاريخيا أن الوضع التعليمي في الجزائر خلال العهد العثماني كان متطورا إلى حد ما، وهذا بالرغم من عدم وجود سياسة تعليمية مسطرة من السلطات الحاكمة[3]، فحين احتلت فرنسا الجزائر كان يوجد بها حوالي 2000 مدرسة وأربعة معاهد كبرى بكل من الجزائر وتلمسان ومازونة وقسنطينة وكانت هذه المعاهد تضم 18000 طالب من كل الشعب ويؤكد هذا التوجه الرحالة الألماني شيمبر حيث يقول ما يلي " **لقد بحثت قصدا عن عربي واحد يجهل القراءة والكتابة، غير أنني لم أعثر عليه**

---

[1]- الهجرة: ظاهرة قديمة تتمثل في انتقال الإفراد والجماعات من منطقة لأخرى، لتحسين أوضاعهم الاقتصادية أو هربا من اضطهاد سياسي أو ثقافي أو حروب أو كوارث طبيعية، وتنقسم عادة إلى داخلية وخارجية. للمزيد أنظر: رابح لونيسي وآخرون، المرجع السابق، ص110.

[2]- نفس المرجع، ص 110.

[3]- الغالي غربي: العدوان الفرنسي.....، المرجع السابق، ص227.

في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنود أوروبا فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة بين أفراد الشعب"[1].

وعن واقع التعليم بعد الاحتلال فقد سلكت فرنسا سياسة إقصاء تجاه أبناء الجزائر تعتمد على التجهيل حتى يمكنها أن تحكم سيطرتها التامة عليهم ولا تسمح لهم بالتعليم إلا في حدود ضيقة، فقد قضى الاستعمار على معظم المعاهد الإسلامية والمكتبات التي كانت موجودة وهذا ما يشهد عليه الضابط الفرنسي **رين** في مذكرته التي نشرها بباريس عقب الغزو قائلا " **لقد جاء الغزو الفرنسي نكبة قاسية على أهل البلاد فلم يبق الغزاة على شيء من أماكن التعليم والعبادة ..... فقد استولوا على تلك الأماكن وعاثوا فيها فسادا**"[2]، كما أن التعليم الأهلي تدهور أكثر عندما استولى الفرنسيون على الأوقاف التي تعتبر من أهم موارده، وقد كتب دي توكفيل في أحد تقاريره سنة 1847م واصفا هذه الحالة " **لقد إستولينا في كل مكان على هذه الأموال- أموال المؤسسات الخيرية التي غرضها سد حاجات الإحسان والتعليم العام- وذلك بأن حولناها جزئيا عن إستعمالاتها وأنقصنا المؤسسات الخيرية وتركنا المدارس تتداعى وبعثرنا الحلقات الدراسية، لقد انطفأت الأنوار من حولنا وهذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشد بؤسا وأكثر جهلا وهمجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا** "[3]، ففي 1870م بلغت الأمية 99% بين النساء و 95% بين الرجال وسلكت فرنسا في تعليمها للبرامج منهج الفرنسة وتشويه تاريخ الجزائر حتى تتمكن تدريجيا من القضاء على تراث الفكري واللغوي والديني للجزائر[4].

---

[1]- أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص13.

[2]- رابح لونيسي وآخرون: المرجع السابق، ص75.

[3]- الغالي غربي: العدوان الفرنسي.....، المرجع السابق، ص 228.

[4]- رابح لونيسي وآخرون: نفس المرجع، ص75.

وكخاتمة لهذا الفصل يمكن أن نقول أن الحكومة الفرنسية استغلت الظروف المتاحة لتحقيق هدفها المنشود القاضي بتكوين مستعمرة في شمال إفريقيا تكون منطلقها الجزائر، وأن جملة المبررات التي ساقتها كأسباب لغزوها ما هي إلا وسيلة لإضفاء الشرعية على هذا العمل، وهذا ما يبرزه حجم المعاناة والنهب والإبادة التي عرفتها الجزائر عقب نجاح الحملة، وقد بذلت فرنسا كل ما بوسعها لمحو شخصية المجتمع الجزائري عن طريق محاولات تصفية الدين الإسلامي بمؤسساته وثقافته وحرمان الشعب من مصادر رزقه إلى جانب التأكيد على نشر الثقافة الفرنسية والديانة المسيحية وتمكين العنصر الدخيل من مقدرات البلاد.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المشروع الفرنسي في مصر والجزائر نقاط الإلتقاء والتباعد

المبحث الأول: تشابه المقدمات في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر

المبحث الثاني: إختلاف النتائج في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر

إتفقت العديد من الدراسات والبحوث التاريخية على فكرة مفادها أن أهداف الأمة الفرنسية ثابتة على مر القرون رغم تغير الأشخاص وأنظمة الحكم، فالمتمعن في خصائص الحملتين الفرنسيتين على مصر ثم على الجزائر يجد إرتباطا وثيقا وإتصالا متينا فيما يتعلق بنظرة الفرنسيين للمنطقتين، قدم فكرة الغزو، الآليات والإستراتجيات المنتهجة في كلتا الحملتين، ولكن المفارقة أن تفشل الحكومة الفرنسية في تجسيد مشروعها في مصر وتنجح في الجزائر، وهذا ما دفعنا في هذا الفصل إلى البحث عن الأسباب الكامنة وراء هذا الإختلاف في النتائج رغم التشابه في المدخل.

المبحث الأول: تشابه المقدمات في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر

المطلب الأول: دور الإستشراق في حملتي فرنسا على مصر والجزائر

1- مفهوم الإستشراق:

يعد مصطلح الإستشراق وما يتصل به نحو مستشرق من التسميات الحديثة وإن كان مدلولها غير ذلك، فلفظة إستشرق استعملها المحدثون من ترجمة كلمة **Orientalisme**، والمتعارف عليه أن السين والتاء إذا زيدتا في الكلمة قصد بهما الطلب مثل استغفر أي طلب الاستغفار، وعليه فالإستشراق هو طلب علوم الشرق وآدابه من وجهة نظر غربية[1].

يقول أحمد الزيات في محاولته ضبط مفهوم الإستشراق ومدلوله مايلي: " **يراد بالإستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وأدبه وعلومه وعاداته ومعتقداته** "، وفي نفس الاتجاه تقريبا يذهب مالك بن نبي فيقول " **إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية** "[2].

أما في الموسوعة الميسرة فقد جاء تعريف مصطلح الإستشراق على النحو الأتي " **هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة على الشرق الإسلامي والتي شملت**

---

[1]- إسماعيل محمد علي: الإستشراق بين الحقيقة والتضليل، الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص9.

[2]- حسن الويسي: (مالك بن نبي وموقفه من الإستشراق)، مجلة الدراسات الإستشراقية، ع09، 2016، ص6.

حضارته وأديانه وآدابه وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبرا عن الخلفية الفكرية والعقائدية للصراع الحضاري بين الشرق و الغرب "[1].

وتجدر الإشارة هنا أن الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وهويته وتراثه، ليس" **الشرق الجغرافي الطبيعي**" وإنما هو" **الشرق الهوية** " وهو محور ما استهدفه علم الإستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدفه هو معرفة الإسلام وثقافته وحضارته لإيجاد المنفذ الذي يمكنهم من إضعافه تمهيدا للانقضاض عليه[2].

2- الخلفية الاستعمارية للإستشراق:

المتفق عليه تاريخيا أن حملات الاستشراق قد ظهرت على الساحة العالمية كي تؤدي دورها المرسوم لها جنبا إلى جنب مع الحملات العسكرية، هذا وقد عمل الاستشراق بكامل طاقاته وعلى جبهات متعددة في سرية تامة في ديار الإسلام على مدى قرون متتابعة، كتب أثناءها التقارير تلوى الأخرى للحكومات الأوروبية المتعاقبة يحث فيها على تجريد الحملات لاحتلال بلاد المسلمين[3].

تكلم الأستاذ محمد عبد الله عنان "**رحمه الله**" عن نشاط المستشرقين الانجليز والفرنسيين في بلاد الإسلام فقال: " **نرى ثبتا من الرحل الغربيين يتوافدون عليها في فترات متقاربة يدرسون أحوالها وشؤونها بعناية ودقة، وكان جل هؤلاء من الرحل الفرنسيين والإنجليز، فهل كان قدومهم في تلك الظروف عرضيا؟ وهل كانوا طلاب سياحة وثقافة ودرس فقط؟ أم كانوا طلائع الاستعمار الغربي المتوثب يومئذ، قدموا إلى بلادنا يجوسون خلالها ويتفقدون شؤونها وأسرارها تمهيدا لمشاريع يجيش بها هذا الاستعمار؟ "**[4].

---

[1]- إسماعيل محمد علي: المرجع السابق، ص11.

[2]- حسن الويسي: المرجع السابق، ص8.

[3]- فرج محمد الوصيف : المرجع السابق، ص34.

[4]- نفس المرجع، ص35.

هذا وكانت الوفود الاستشراقية التي توزعت في أماكن شتى من عالمنا الإسلامي مدربة تدريبا جعلها تؤدي دورها بخبث ومكر شديدين دون أن يشعر بهم أحد، يقول العلامة محمود شاكر في هذا الباب " **وفي خلال هذه الفترة أيضا تكاثر عدد المستشرقين حملة هموم المسيحية، وتوافدوا في كل زي: زي طالب العلم والمعرفة وزي السائح المتجول في ربوعها شمال وجنوب** "[1].

3- الإستشراق الفرنسي ومساهمته في حملتي مصر والجزائر:

يقول المؤلف الجزائري الطيب بن ابراهيم في كتابه " **الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر**" أن الاستشراق الفرنسي هو أخطر أنواع الاستشراق بالنظر إلى عمق مخططاته وآثاره، فضلا عن الجذور الفرنسية تاريخا وثقافة بهذا النوع من الدراسات.

وهو الذي يحمل في طياته بوادر الغزو والصراع والحرب، ففرنسا التاريخية التي أوقف قائدها شارل مارتل جيوش المسلمين في بواتيه، وفرنسا إمبراطورية شارلمان وحامية الكنيسة الكاثوليكية ومتزعمة الحروب الصليبية، لا يخلو استشراقها من نزعة الصراع الديني والشعور الفرنسي بالعلاقة التصادمية التاريخية بين الشرق والغرب[2].

كما كان هذا الاستشراق يمثل الخلفية التاريخية والقاعدة الثقافية في الذاكرة الجماعية الفرنسية وعليها بني الاستشراق الفرنسي ومنها انطلق، فكان يحمل روح الصراع الديني والعدائية التاريخية والزعامة الصليبية، ومن هذا المنطلق يطرح التساؤل حول مدى علاقة الاستشراق بالإستعمار، نجيب فنقول أنهما وجهان لعملة واحدة ووحدتها تتمثل في أنهما وليدا سياسة فرنسية واحدة كما قال المستشرق الفرنسي المعاصر جاك بارك " **الاستشراق هو الجناح الفكري للتوسع السياسي وغياب أحدهما عن الآخر هو بداية تصدع في جدارهما، وهو ضعف ومؤشر لبداية زوالها** "[3].

---

[1]- فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص36.

[2]- الطيب بن براهم: الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004، ص190.

[3]- نفس المرجع، ص188.

والمتفق عليه أن الاستشراق الفرنسي كان أكثر أنواع الاستشراق الغربي تجنيدا للغزو الثقافي والتبشير الديني، فقد اعتمدت عليه فرنسا في جميع مراحل صراعها الرئيسي مع الشرق سواءا الجبهة العسكرية أو الدينية أو الثقافية ووظفته كحليف رئيسي للتنصير والاستعمار وغرس الثقافة الفرنسية.

فهناك ثقافة الغزو وغزو الثقافة والولاء في كل حالة يكون للجهة أو للطرف الذي ينسب إليه ويتبناه، فهناك ولاء للغزو أي للاستعمار الفرنسي وهناك ولاء لثقافة الغرب[1].

والعلاقة بين ثقافة الغزو وغزو الثقافة موجودة ودقيقة ومرتبة ترتيبا أوليا ومرحليا ونوعيا، من ثقافة عامة ذات طابع غربي إلى ثقافة خاصة ذات طابع غزوي واستعماري فرنسي، هدفها بالدرجة الأولى خدمة الغزو الفرنسي الخاص ومصالحة الاستعمارية وخصوصيته الثقافية[2].

فالحديث عن الحملة الفرنسية على مصر ومدى مساهمة المستشرقين في التحضير لها نجدها على علاقة وطيدة، ويكفينا في هذا المقام أن نذكر نماذج مهدت للمشروع الغربي في المنطقة، كالمستشرق الداهية المحنك " **فانتور**" حسب العلامة محمود شاكر قضى أربعين سنة يتجول في بلاد الإسلام وإلتحق بعدئذ بالحملة الفرنسية[3]، كان قبل ذهابه إلى مصر مع نابليون ترجمانا لسفارة فرنسا في الأستانة، ثم مترجما رسميا للحكومة الفرنسية وهو الذي عمل قبل ذلك كمدرس للغة التركية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، ولعل أبرز عمل اقترن بشخصه رفقة عدد من المستشرقين هو صياغة وتحرير بيان الحملة الفرنسية على مصر فكان صديق نابليون المقرب ومستشاره وخليله الذي لا يفارقه في الحل والترحال[4].

وسافاري الذي قدم مصر قبل الحملة بقليل وبالضبط سنة 1776م فقضى بها ثلاثة أعوام طاف خلالها أرجاء الديار المصرية من شرقها إلى غربها وزار جميع معالمها

---

[1]– الطيب بن براهم: المرجع السابق، ص189.

[2]– نفس المرجع، ص189.

[3]– فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص36.

[4]– عبد الرحمن الرافعي: المرجع السابق، ج1، ص136.

ومعاهدها وآثارها ودرس جميع أحوالها وشؤون مجتمعاتها، درس اللغة العربية والدين الإسلامي ووضع عن رحلته ودراساته في مصر طائفة من الرسائل المستفيضة ملأت ثلاثة مجلدات ونشرت بين سنة (1785- 1789م)، ضمنها وصف الحلال، أهل مصر القديمة والحديثة ووصف لنظم الدولة وأحوال التجارة والزراعة ومعها خرائط جغرافية، وهو بالطبع لم يقدم هذا العمل من تلقاء نفسه وإنما قدمه بناءً على طلب الدوق "**دورليان**" أخ الملك لويس السادس عشر الذي نصحه بدراسة أحوال المجتمعات التي اعتزم زيارتها تمهيدا لغزوها في فترة من الفترات[1].

أما بالحديث على الحملة الفرنسية على الجزائر فنخص بالذكر سلفستر دي ساسي[2] المهندس والمنظر الروحي لحكومة شارل العاشر، دراساته شملت ميادين كثيرة عن العالم الإسلامي، تاريخ دوله، حياته الأدبية والدينية والحضارية من بدايته حتى التاريخ المعاصر، طالبه وزير الخارجية الفرنسي تاليران بضرورة البحث المعمق للغات الإسلام الثلاث "الفارسية، التركية والعربية "، والظاهر هنا أن هدف تاليران ليس ذلك المتعلق بالتعرف على الحضارات والديانات بقدر ما يتعلق بتهيئة المعطيات اللازمة لضرب الأمة الإسلامية في عقيدتها وثقافتها وفهم نفسيات الشعوب للوصول إلى مواطن النفاذ إليها وتحديد العوامل المؤثرة عليها[3].

وقبيل الحملة الفرنسية على الجزائر كلف دي ساسي رفقة كليرمون تونير بصياغة البيان المزمع توزيعه على الجزائريين قبيل الغزو وفي ثنايا البيان ظهرت نتائج الدراسات الإستشراقية لدي ساسي وهدفها المقترن بالغزو العسكري وهو الذي خاطب الشعب الجزائري في دينه وثقافته، فالمنشور خاطب بالدرجة الأولى طبقة معينة من الشعب الجزائري هي

---

[1]- فرج محمد الوصيف: المرجع السابق، ص36.

[2]- ولد إسحاق سلفستر دي ساسي في مدينة سان جيرمان بفرنسا عام 1758م، تلقى تعليمه على يد فرونسوا بيرتيرو أحد العارفين باللغة الأرامية والعربية، أيقظ هذا المعلم حب الدراسات الشرقية في شخصية دي ساسي الذي درس بعد ذلك الحقوق إبتداءا من سنة 1792م، عنصر منتظم في أكاديمية الأثار، تولى كرسي اللغات الشرقية وفيها تعلم وتفوق في اللغة العربية والتركية، تولى منصب المترجم الرسمي لوزارة الخارجية الفرنسية عام 1794م. للمزيد أنظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الإستشراق، تر عمر لطفي العالم، دار المدار للنشر، ليبيا، 2000، صص 143- 144.

[3]- نفس المرجع، ص149.

طبقة النخبة التي تحتل منزلة ريادية في البلاد، والمتكونة من القضاة والعلماء وأكابر المشايخ، ومغزى ذلك ضرورة التمهيد للغزو بما أن القوة العسكرية وحدها لا تكفي لضمان النصر إذا لم تدعمها قوة أخرى دعائية مساعدة، تعمل عملها النفسي وتمهد السبيل، وهذا هو مبدأ حربي قديم تنوعت وسائله وتطورت أساليبه وتعددت أهدافه مع الزمن[1].

المطلب الثاني: حملتا فرنسا على مصر والجزائر دور من أدوار المسألة الشرقية

1- مفهوم المسألة الشرقية

اتفق جمع من المؤرخين والسياسيين على أن مفهوم المسألة الشرقية يقصد به ذلك النزاع القائم بين بعض الدول الأوروبية وبين الدولة العثمانية حول قضية وجود هذه الأخيرة في التراب الأوروبي، وقد قال بعضهم بأن المسألة الشرقية هي تعبير عن الصراع التقليدي بين النصرانية والإسلام[2].

وإن كانت نشأة هذا المصطلح تعود جذوره لأول اقتطاع عثماني لإقليم من الأقاليم الأوروبية، إلا أنه يتطابق أكثر مع جملة من الوقائع التاريخية التي تدور بين عام 1774م على إثر معاهدة كوتشوك كينارجي[3] وعام 1923م سنة انعقاد معاهدة لوزان[4]، وهي الفترة

---

[1]- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص21.

[2]- روبير مانتيران وآخرون: تاريخ الدولة العثمانية، تر بشير السباعي، ج2، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1992، ص5.

[3]- أنعقدت هذه المعاهدة في مدينة كينارجة البلغارية في أعقاب إنهزام الدولة العثمانية أمام روسيا، وأهم ماجا فيها: سحب القوات العثمانية من القرم وتعهد الدولة العثمانية بمنح إمتيازات لروسيا بشأن حماية الأقلية الأرثوذوكسية في مختلف إيالاتها، حرية الملاحة الروسية في كافة الموانئ العثمانية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، يحق لروسيا تعيين القناصل في أي مكان تراه مناسبا لذلك، وحين نتمعن في فحوى هذه الشروط يمكن ملاحظة مايلي: إنهاء السيطرة العثمانية على البحر الأسود وتهيئة الأسس الدبلوماسية للتدخل الروسي في شؤون الدولة العثمانية الداخلية، للمزيد أنظر: محمد علي الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2001، صص 217-218.

[4]- أنعقدت في مدينة لوزان السويسرية في الفترة الممتدة بين أواخر 1922م إلى غاية 1923م ضمت الدول الغربية واليونان وتركيا انتهت بتوقيع اتفاقية في 24 جويلية 1923م التي نصت على تكريس إنتصار تركيا في حروبها مع اليونان وإلغاء معاهدة سيفر في مقابل ذلك إسقاط الدولة العثمانية رسميا وتعويضها بتركيا الحديثة وإلغاء الخلافة الإسلامية. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د. ت)، ص 525.

التي أدت إلى التمزق التدريجي للإمبراطورية العثمانية وتنافس الدول العظمى على بسط سيطرتها ونفوذها على أوروبا البلقانية والبلدان الواقعة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط حتى الخليج الفارسي والمحيط الهادي وعلى ضفافه الجنوبية[1].

وقد أكد هذا التوجه جرجي بك زيدان في قوله " **وقد سعوا في حل هذه المسألة من وجوه كثيرة في جملتها اقتسام الإمبراطورية العثمانية فيما بينهم وقد وضعوا لذلك خرائط مختلفة، وإذا تدبرت ما دار بهذا الشأن وتأملت القرائن المحيطة بتاريخ هذه المسألة وجدت بريطانيا أقل الدول رغبة في حل هذه المسألة وروسيا أشدها رغبة في حلها عملا بوصية بطرس الأكبر** "[2].

ومن هذا المنطلق نحاول أن نحصر أطماع الدول الأوروبية الثلاث التي تعتبر عناصر فاعلة في هذه المسألة ونخص بالذكر:

بريطانيا: سعت إلى تأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأدنى والهند خصوصا وضمان تجارتها معها، سواء عن طريق السويس والبحر الأحمر أو عن طريق الخليج العربي ونهري الدجلة والفرات[3].

روسيا: أرادت أن تجد لها منفذا من البحر الأسود إلى المياه الدافئة بالبحر المتوسط، والسيطرة على مضيقي البوسفور والدردنيل.

---

[1]– روبير مانتيران وأخرون: المرجع السابق، ص5.

[2]– قيصر روسيا ومطلق إندفاعها نحو التحديث، يعتبر من الشخصيات الرئيسية في التاريخ الروسي وبادئ نهضتها الصناعية، إعتلى العرش بحركة إنفصالية، زار هولندا وإنكلترا وإستقدم منهما خبراء وفنيين لتعليم الروس الصناعات الحربية، أول من أدخل نظام التجنيد، أنشأ قوة عسكرية بحرية تفوقت من خلالها على السويد المتزعمة التقليدية لبحر البلطيق، للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج1، ص546.

[3]– لبيب حبي: تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، (د.م.ن)، 1921، ص5.

أما فرنسا فقد سعت إلى الدفاع عن مواقعها التجارية والعمل على كسر التفوق التجاري البريطاني في المشرق العربي، ثم مد نفوذها إلى ساحل الشمال الإفريقي وبالتحديد تونس والجزائر البعيدة نوعا ما عن المركز العثماني[1].

2- الحملة الفرنسية على مصر والجزائر جزء من أجزاء التنافس الاستعماري الأوروبي:

يعتبر مجال البحر الأبيض المتوسط من أهم المجالات التي شهدت صراعا محتدما بين مختلف الدول الإستعمارية عبر مختلف الأزمنة، لما يمثله هذا المجال من أهمية كبرى بالنسبة للحركة الإقتصادية على إختلاف تشعباتها، كما أن المناطق المطلة على البحر المتوسط عرفت العديد من النزاعات وكانت مطمعا للدول الأوروبية على إختلاف أهدافها الإستعمارية.

وهو الشيء الذي جعل هذه الدول على رأسها فرنسا وبريطانيا في تضارب مستمر في منطقة البحر المتوسط من أجل السيادة عليه، فتطلع فرنسا وتسابقها إلى إستعمار دول شمال إفريقيا كالجزائر وتونس ومناطق المشرق العربي كمصر وسوريا، كان دائما يدخل في إطار مخططها الإستعماري للسيطرة على المنطقة[2].

أ- مصر

خلال أواخر القرن الثامن عشر لم يعد للدولة العثمانية نفوذ حقيقي في مصر نتيجة الأوضاع المتردية التي كانت تعيشها الإمبراطورية العثمانية[3]، على كافة الأصعدة السياسية والإقتصادية والعسكرية بتلاحق الهزائم التي منيت بها على يد روسيا والنمسا وازدياد وتيرة

---

[1]- إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ العثماني، مكتبة العبيكان، (د.م.ن)، (د.ت)، ص141.

[2]- وهيبة قطوش: الصراع الفرنسي الإنكليزي في المشرق العربي مصر وسوريا نموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2011-2012، صص27- 28.

[3]- محمد محمود السروجي: دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، (د.م.ط)، (د.م.ن)، 1998، ص14- 15.

التمردات والثورات داخل الدولة، وكثرة المؤامرات والانقلابات العسكرية[1]، ما جعل مصر مركزة في أيدي البكوات المماليك المتصارعين على السلطة، حتى أن الوالي العثماني أصبح يتلقى تعليماته من شيخ البلد كبير المماليك إلى جانب عدم وجود الاستحكامات العسكرية ولا تحصينات دفاعية بالإضافة إلى افتقار البلاد إلى السلاح ونفور الأهالي من هذه الظروف[2].

هذه مجموعة من المعطيات كانت في صالح الطرف الفرنسي إذ أصبحت غير قادرة على المقاومة مما جعلها هدفا مغريا لكل نوع من المخاطرات التوسعية التي كانت تسعى إليها الدول الأوروبية، وعلى نحو ذلك كتب نابليون إلى حكومته في باريس قائلا:"**إن الإمبراطورية العثمانية على شفا الهاوية، وليس ثمة ما يدعونا إلى إسنادها**"[3].

مثلت الحملة الفرنسية على مصر نقطة التحول في الاقتراب الأوروبي من العالم الإسلامي، فلقد كانت أول هجوم عسكري مباشر على أراضي القلب الإسلامي لاحتلالها واقتطاعها من الدولة العثمانية، ولذا كانت منعطفا في تاريخ الصراع بين القوى الغربية حول أقاليم الرجل المريض خاصة العربية منها من أجل بناء إمبراطوريات كبرى، كما كانت من ناحية أخرى ذات مدلولات هامة بالنسبة للعلاقات العثمانية الأوروبية ومن ثم بالنسبة لمصير الإمبراطورية العثمانية برمتها[4].

حيث بينت التفاعلات الدولية في مواجهة هذه الحملة كيف تغلب حتى هذه المرحلة التوجه البريطاني نحو الحفاظ على تماسك الإمبراطورية، وعدم اقتسامها وهو الأمر الذي انتهى بعد ذلك وفقا لمتغيرات دولية باحتلال مصر، بعبارة أخرى كانت الحملة الفرنسية تعبيرا عن عملة ذات وجهين من تأثير التوازنات الأوروبية وإستراتيجيات الدول الكبرى على

---

[1]– الغالي غربي: دراسات....، المرجع السابق، ص174.

[2]– محمد محمود السروجي: المرجع السابق، صص14– 15.

[3]– الغالي غربي: نفس المرجع، ص174.

[4]– نادية محمود مصطفى: العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي، القاهرة، 1996، ص278.

مصير العالم الإسلامي وعلاقته بالدولة العثمانية ومن تأثير محصلة توازن القوى العثمانية الأوروبية بعد أن استمرت عناصر قوة هذه الأخيرة في التراكم في نفس الوقت الذي استمرت عناصر القوة العثمانية في الإنحلال والإضمحلال.

فمن ناحية بعد أن تداخلت بواعث المنافسة الفرنسية البريطانية حول مصير مصر طوال القرن الثامن عشر وبعد أن كان هناك عدم اتفاق داخل الدولتين بين مواقف القوى السياسية والاقتصادية حول أسلوب الاقتراب الأمثل من مصر " **احتلال فرنسا لها أم التركيز على التوازنات في القارة، احتلال بريطانيا لها لحماية الهند أم تحقيق تلك الحماية عن طريق الباب العالي** "[1].

كانت الثورة الفرنسية ثم الحملة على مصر نقطة تحول في السياسة التقليدية الفرنسية، كما أدت إلى تغيير خطير ولو مؤقت في السياسة العثمانية الروسية حيث اتجهت الدولتان للتحالف فيما بينها مع بريطانيا ضد فرنسا، ولم تكن هذه التحالفات إلا ذات طابع ظرفي فبعد انسحاب الحملة من مصر لم يصمد التحالف الثلاثي من جهة ومن جهة أخرى اتجه نابليون لتحسين علاقاته مع الدولة العثمانية في مواجهة عدوهما المشترك روسيا، وأراد نابليون أن يدخل إيران طرفا في هذا التحالف ليحقق مصالحه في مواجهة بريطانيا في الهند في مقابل ذلك تحصل إيران على مساعدة فرنسا في صد المطامع الروسية في المنطقة، ولكن سرعان ما فقد هذا التحالف بعد فترة عمل قصيرة (1806- 1808م) مغزاه حين أرادت فرنسا توظيفه ضد بريطانيا أساسا دون استفادة حقيقية لإيران والعثمانيين في مواجهة روسيا[2].

ب- الجزائر

كان احتلال الجزائر سنة 1830م أول اقتطاع لإقليم عربي مسلم من الأقاليم التي كانت تحت السيادة العثمانية، ثم توالى السقوط في ظل التطورات العميقة على صعيد

[1]- نادية محمود مصطفى: المرجع السابق، ص279.

[2]- نفس المرجع، ص280.

التنافس الاستعماري فكان احتلال تونس1881م ثم ليبيا 1911م ثم المغرب 1912م التي كانت خارج السيادة العثمانية[1].

ومن خلال جملة تحليلاتنا لهذه الدراسة تبين لنا مدى مساهمة تدهور الأوضاع الداخلية لإيالة الجزائر" **إفلاس الاقتصاد، الفوضى السياسة، مشاكل التجانس القومي**" من ناحية وبين التدخلات الأوروبية وازدياد نفوذها من ناحية ثانية وبين عجز وعدم قدرة الدولة العثمانية على التدخل المباشر والفاعل لمنع هذا الاحتلال " **نظرا لتزامن الحملة مع مشاكل ملمة ومباشرة في المركز العثماني ونظرا لعدم القدرة على توظيف التوازنات الأوروبية حول هذه المنطقة** " من ناحية ثالثة، ويعكس هذا النمط من التفاعل بين هذه المتغيرات الثلاثة كيف أن الأوضاع الداخلية قدمت المبرر المباشر للاحتلال في حين كانت الأسباب المنشأة والدافعة له تكمن في التوازنات الأوروبية التي سمحت باقتسام هذا الجزء من الإمبراطورية بدون مخاطر حرب شاملة بين القوى الأوروبية وإذا كانت السياسة العثمانية قد بذلت تجاه مصر جهودا متنوعة لإبقائها تحت سيطرتها ولمنع احتلالها بقدر الإمكان فإن هذه الجهود كانت أقل كثافة تجاه الجزائر والتي كانت السيادة العثمانية عليها اسمية أكثر منها فعلية منذ فترة طويلة قبل بداية احتلالها[2].

بعد خمسة عشر سنة من تسوية الحروب النابليونية تأثر مصير الجزائر بالأوضاع في أوروبا وكذلك بالوضع المتأزم في المركز العثماني، فلقد ظلت فرنسا ولمدة ثلاثة أعوام منذ غزوها الجزائر، وفي ظل تأثير العديد من الاعتبارات الداخلية مترددة في اتخاذ قرارها بالغزو الكامل والاحتلال ولقد حاولت توظيف محمد علي للقيام بهذا الدور ولم يكن بمقدور الدولة العثمانية التدخل بسبب انشغالها في ثورة اليونان وخاصة بعد تحطم الأسطول العثماني في نافارين والدخول في حرب مع روسيا (وإن كانت الاعتراضات البريطانية والعثمانية قد أفشلت توظيف محمد علي) إلا أن بريطانيا أبدت تحفظها على عواقب هذا التوسع وتهديدها في حالة حدوثه ومع هذا ظلت التهديدات البريطانية محدودة ومقيدة ولم تصل إلى حد التهديد

---

[1]– نادية محمود مصطفى: المرجع السابق، ص287.

[2]– نفس المرجع، ص280.

بحرب نظرا للصعوبات الداخلية في بريطانيا ونظرا لرغبة بريطانيا عدم ترك فرنسا(بعد ثورة 1830م وتولي لويس فيليب الحكم) بمفردها في مواجهة القوى الأوروبية الأخرى المتنافسة.

ومع اتخاذ فرنسا قرار التوسع أعلنت بريطانيا موافقتها على الإجراءات الفرنسية شريطة أن يستمر الإشراف البريطاني في كل مضايق صقلية وجبل طارق وبذا تخلت بريطانيا عن مساندة الدولة العلية حول هذه القضية، وبعد مؤتمر برلين 1840م لم يعد بمقدور الباب العالي الانصراف من جديد إلى الجزائر، ولقد ساهم في صياغة هذه النتيجة التفاعل بين القرب الجغرافي للجزائر من فرنسا وقوة الأسطول الفرنسي وبين البعد الجغرافي للجزائر من إسطنبول وضعف الأسطول العثماني، وكان رد الفعل الأساسي العثماني تجاه فقدان الجزائر هو اتجاه الباب العالي منذ 1830م لإحكام السيطرة على طرابلس وحكمها بصورة مباشرة بعد إسقاط عرش الأسرة القرمنلية حتى1912م، وبهذا لم يكن بمقدور الدولة العلية التلاعب بهذه التوازنات التي وصلت إلى مفترق طرق حاسم كان يوحي ببدء اقتسام أرجاء الإمبراطورية[1].

ومما سلف الذكر يمكننا القول أنه بعد الالتفاف حول العالم الإسلامي من الجنوب وتدعيم النفوذ السياسي والتجاري في هوامشه، انتقل التوسع الاستعماري منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى مرحلة الهجوم المباشر على المركز باستخدام الأداة العسكرية وهي التي تدخل ضمن توازنات القوى الأوروبية وتوازنات القوى الأوروبية العثمانية على نحو انعكس على التنافس الاستعماري حول المحاور الجغرافية السياسية الكبرى التي ينقسم بينها العالم الإسلامي، ولقد مرت العملية الاستعمارية منذ نهاية القرن الثامن عشر بخطوات متتالية عبرها عملية سقوط الدول الإسلامية في العالم العربي وفي وسط آسيا وغربها[2].

[1]– نادية محمود مصطفى: المرجع سابق، ص291.

[2]– نفس المرجع، ص275.

المطلب الثالث: نظرة تحليلية للبيانين الفرنسيين في مصر والجزائر

إن المتفحص لتصريحات الحكومة الفرنسية غداة غزو مصر وبعدها الجزائر حول الأسباب المعلنة لحملتهم نجدها تتشابه لحد بعيد بل وتكاد تكون نفسها، كما أورد نايت بلقاسم في كتابه شخصية الجزائر العالمية وهيبتها الدولية قبل 1830م " **أن هدف الأمة الفرنسية ثابت على الرغم من تغير الأشخاص** ".

1- بيان الحملة الفرنسية على مصر:

في أعقاب دخول نابليون لمصر نشر بيانًا موجهًا للشعب المصري تضمن دافع الحملة[1]، أهداف الحملة، تطمينات قابلتها تهديدات، " **لقد أقدم مماليك مصر(البكوات والأمراء) على عمل من شأنه أن يخذلكم، وعلى هذا الأساس يجب أن تتصرفوا، أما إذا أقدمتم على أدنى تعرض للجيش الفرنسي فإنه من المقرر أن نعاملكم معاملة عدو، وتكونون السبب في ذلك، إذ ليس في نيتي إبراز نعرة الخصومة** "، فالسبب الذي دفع نابليون للقيام بهذه الحملة هو من أجل تأديب المماليك الذين تسلطوا على مصر وشعبها منذ زمن بعيد، والذين يعاملون التجار الفرنسيين بكل إذلال واحتقار وكذلك بهدف انقاذ الشعب المصري من ظلم المماليك وطغيانهم[2].

وقد استغل نابليون العداء الذي كان يكنه المصريون للمماليك لصالحه، وأعلن أنه جاء تأديبا للأمراء والمماليك الذين يتمتعون بالقصور والجياد والنعم، " **حيث يوجد أرض خصبة فهي مختصة بالمماليك ولهم الجواري الأجمل، والخيل الأحسن والمساكن الأشهى**"[3]، وهم أسلاف الشركس والرقيق دون أن يكون لهم سند من التاريخ وحجة من القرآن والحديث تتيح لهم الاستمتاع بمصر[4]، وأعلن أيضا أنه جاء ليعزز سيطرة السلطان العثماني المغتصبة

---

[1]- للإطلاع على بيان الحملة الفرنسية على مصر، أنظر ملحق رقم04، ص140.

[2]- يسرى عبد الهادي الحنفي: المرجع السابق، ص56.

[3]- عبد الرحمان الجبرتي: مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تح وتعليق عبد الرزاق عيسى وعماد أحمد هلال، ج1، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص105.

[4]- أحمد طربين: المرجع السابق، ص30.

من طرف المماليك وإعادة النظام بتوفير حمايتها للفلاحين المضطهدين من طرف البايات[1].

كما نص محتوى البيان على عدم مساس الحملة بممتلكات المصريين ومعتقداتها الدينية وقد طلب نابليون من العلماء والقضاة وأعيان البلاد أن يخبروا المصريين بشأن الفرنسيين اللذين يحترموا القرآن والرسول" محمد صلى الله عليه وسلم" أكثر من المماليك وأن تترك لهم الحرية التامة في تأدية واجباتهم الدينية في المساجد كما كانوا يفعلون من قبل، كما أدعى نابليون أنه أخبر قادة الجيوش أن يصدروا أوامر للجنود الفرنسيين بتجنب النهب والتعدي[2]، هذا وقد أكد على أهمية الإسلام وأن الفرنسيين غير معادين للمسلمين" **وقولوا للمفترين أنني ما قدمت إليكم إلا لكي أخلص دينكم وأنني أعبد الله أكثر من المماليك وأحترم نبيه محمد والقرآن الكريم**"[3] ، ولم يتم غزو مصر لإزالة الإسلام وعلى هذا النحو تضمن المنشور في أوله البسملة ونفي الولد والشريك عن الله والدعوة إلى استمرار إقامة الصلاة في الجوامع[4].

وفي نفس السياق لجأ الفرنسيون إلى الفكر الجبري والفهم القدري لفرض إستسلام المصريين للغزو الفرنسي، قولا بأن رب العالمين أمر بانقضاء دولة المماليك، فإذا أقر للناس أن هذا قضاء الله فإنهم بلا شك سوف يخضعون له ولا يقاومونه، إذ لا تجدي حسبهم المقاومة في تغيير القضاء أو تبديل القدر[5] " **فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على إنقضاء دولتهم (يقصد المماليك)** "[6].

---

(1)– Pacha Ahmed Chafik : op cit, p14.

(2)– محمد رفعت: المرجع السابق، ص43.

(3)– عبد الرحمن الجبرتي: مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، المصدر السابق، ص104.

(4)– محمد سعيد العشماوي: المرجع السابق، ص109.

(5)– نفس المرجع، ص110.

(6)– عبد الرحمان الجبرتي: نفس المصدر، ص 105.

2- بيان الحملة الفرنسية على الجزائر:

أما بالحديث عن المنشور أو البيان الذي وزع على الجزائريين[1] قبيل الحملة فقد ساهم في إعداده كل من كليرمون تونير، عضو القيادة العامة للجيش الفرنسي الذي كان يتقن اللغة العربية، والمستشرق الفرنسي دي ساسي الذي تولى صياغته باللسان الدارج قبل طبعه باحدى مطابع أنقولام بفرنسا، يمكن استخراج الأفكار التي يدور حولها النص وتحديد موضوعاته كالتالي:

- دافع الإستعداد الفرنسي لغزو الجزائر.
- الضمانات والوعود المقدمة.
- الهدف من الحملة.
- تهديد يقابله إغراء[2].

فالحملة إذن حسب المنشور جاءت للإنتقام من سوء تصرف حاكم الجزائر ومن فعله المهين لفرنسا، فهي ليست اعتداء على شعب المغاربة، ومحاربتهم ليست هدف هذه الحملة إطلاقا، ومن ثمة فإن لهم جميع الضمانات وكل التعهدات بالإبقاء على حرياتهم الشخصية وكرامتهم الإنسانية، وحفظ أموالهم وصيانة ممتلكاتهم واحترام معتقداتهم الدينية وما يتصل بها من مؤسسات دينية وأوقاف، التي ستبقى على حالها دون أن يمسها أي أذى أو تغيير.

وقد راح المنشور يعدد مساوئ الحكم العثماني في الجزائر كالإستحواذ على خيرات البلاد وتسخيرها لصالحهم الخاص، وأن السبيل الوحيد للتخلص من هؤلاء الحكام المستبدين في نظر البيان هو التعاون وتأييد الحكم الفرنسي في الجزائر[3].

---

[1]- للإطلاع على بيان الحملة الفرنسية على الجزائر، أنظر ملحق رقم05، ص142.

[2]- عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص14

[3]- نفس المرجع، ص17.

3- أوجه الشبه بين البيانين:

إنطلاقا من البيانين الموجهين للشعب الجزائري والمصري من طرف الحكومة الفرنسية يمكننا استنتاج نقاط الإلتقاء والتقارب التالية:

- جاء في المنشوران أن الحملة الفرنسية سواء على مصر أو الجزائر ليست موجهة إلى الشعب وإنما هدف الحملة هو المماليك" الحكام في مصر"، الأتراك "الحكام في
- الجزائر".
- ركز المنشوران على طبقة العلماء والأشراف والمشايخ في محاولة من السلطات الفرنسية إستمالتهم وكسب ودهم نظرا لمكانتهم الروحية ونفوذ الباي وشعبيته أواسط الشعب.
- تأكيد المنشورين على احترام الممتلكات الشخصية والحرية الدينية وعدم المساس بالمساجد والمعتقدات.
- النزعة الترغيبية التي تقابلها اللغة التهديدية، فقد عمد البيانان إلى إستعمال لغتان وأسلوبان مختلفان باختلاف ردات الفعل المنتظرة من الشعبين.
- ساهم في إعداده وصياغته وتحريره رائدان في مجال الإستشراق الفرنسي وهما دي ساسي بالنسبة لحملة الجزائر، وفانتور بالنسبة لحملة مصر.
- التأكيد على صدق الحضارة الغربية ونبل الرسالة الإنسانية التي يحملها الفرنسيون، والذين أكدوا من خلالها أنهم جنس راقي متحضر مهمته الأخذ بيد الشعوب المتخلفة.
- بحث المنشوران عن قوة مساعدة من الداخل يعتمد عليها أثناء الأزمات والحروب، وفئة التجار هي المقصودة والمعنية بالنداء لقدرتها في نظر الفرنسيين على توفير المواد الغذائية وغيرها لجيشهم الذي قد لا يصمد كثيرا فيما إذا لم تضمن له الإمدادات اللازمة.

- يدخل البيانان ضمن وسائل الإعلام والدعاية التي تعمل على تهيئة الشعوب وتخديرها نفسيا، لتسهيل عملية غزوها ذلك أن القوة العسكرية وحدها لا تكفي لتحقيق أهدافها على المدى المتوسط والبعيد.
- انخداع بعض فئات المجتمع وأطيافها سواءً في مصر أو في الجزائر بمضمون ومحتوى البيان ووضع الثقة في فرنسا حقوق الإنسان والمواطن، وبلد الحرية والمساواة.
- عدم تحقيق البيان لأهدافه في الجزائر ومصر وعدم ثني الشعبين على خيار المقاومة والوجود الفرنسي.
- عدم تطابق محتوى البيانين مع الواقع الإستعماري (تناقض صارخ بين الضمانات المقدمة والتجاوزات الممارسة)، تعدي على الحرمات والمعتقدات، سلب ونهب ومصادرة، وقتل وممارسات غير إنسانية في البلدين.
- أن الخطاب المستخدم في كلا المنشورين هو خطاب عربي – إسلامي صرف، بعيد كل البعد عن الفكر الغربي[1].

[1]– محمد سعيد العشماوي: المرجع السابق، ص119.

المبحث الثاني: إختلاف النتائج في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر

المطلب الأول: أسباب فشل الحملة الفرنسية على مصر

1- جهود الإيالات الإيجابي في الحملة الفرنسية على مصر:

اعتبر الهجوم الفرنسي على مصر أول حملة صليبية على ولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، وعلى نحو ذلك أعلن على الفور السلطان سليم الثالث[1] الجهاد على الفرنسيين الصليبيين واستجاب لدعوته المسلمون في الحجاز والشام وشمال إفريقيا، فمن الحجاز خرجت جموع من المسلمين بقيادة محمد الكيلاني، يقول الجبرتي في حوادث 7 جانفي إلى 5 فيفري 1799م " **لما وردت أخبار الفرنسيين إلى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية، انزعج أهل الحجاز وضجوا بالحرم وأن الشيخ الكيلاني صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين، فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين، وركبوا البحر إلى القصير ثم انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه وكان مسلمو الحجاز خصوما أشداء للجنرال ديزيه الذي عهد إليه بونابرت بغزو الصعيد والقضاء على قوات الجهاد**"[2].

وعلى نفس النحو إستجاب المهدي الدرناوي الليبي لنداء الجهاد ضد فرنسا وهو الذي حركته الغيرة الإسلامية فقام بدعوة وتعبئة الفئات الشعبية شرق ليبيا إلى الجهاد، فأقبل عليه الناس أفواجا مثل قبائل أولاد علي والهنادي وغيرهم وسار بهذه الجموع حتى بلغ دمنهور أفريل 1799م وكانت تعسكر بها حامية فرنسية تعرضت لهزيمة كبيرة، وكان لانتصار الدرناوي الليبي على الفرنسيين صدى كبير، مما دفع بحاكم الإسكندرية لإرسال نجدة مزودة بالمدفعية لتعقب المهدي لكنها انهزمت أيضا، لتأتي بعدها معركة سنهور والتي كانت من

---

[1]- (1789-1807م) ولد عام1761م، تولى الحكم بعد وفاة عمه عبد الحميد الأول عام 1789م، كان عهده حافلا بالأحداث سواء ما تعلق منها بالحرب مع روسيا وفرنسا التي غزت مصر وتمكن من تحريرها بعد إقامته للحلف الدولي، كما شهد عصره تمردات في الأراضي العثمانية، عزل عن الحكم من قبل الانكشارية عام1807م، وتوفي في نفس السنة. أنظر: محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص320.

[2]- نفس المرجع، ص230.

أشد المعارك وأعنفها، انتهت بانتصار الدرناوي وانسحاب الفرنسيين إلى الرحمانية وفي أعقاب ذلك علق أحد المؤرخين بقوله: " **اعترف نابليون بأهمية العازل الديني بين الفرنسيين والمسلمين وخلص إلى أن الحرب ضدهم تعتبر حرب استنزاف ضد الفرنسيين ولا يمكن التغلب عليها** "[1].

كما أن الموقف الجزائري تجاه الحملة الفرنسية على مصر كان نزيها وجريئا، فقد أعلنت الحرب على فرنسا وأرسلت جزءا من أسطولها لدعم الأسطول العثماني في مواجهته لغزو نابليون، بل والأكثر من ذلك هو قيام الجزائر بإعطاء تلك الإمتيازات التي كانت تتمتع بها فرنسا لعدوتها التقليدية في أوروبا ونقصد بذلك بريطانيا، وهو الذي إعتبره نابليون إهانة للشرف الفرنسي[2]، وطردت في أعقاب ذلك القنصل العام الفرنسي مولطيدو القائم بأعمال فرنسا في الجزائر، وكرد فعل على هذا الإجراء بعث نابليون الذي أصبح في هذه الأثناء القنصل الأول للجمهورية الفرنسية مبعوثا جديدا إسمه دوبوا تانفيل، ومعه رسالة[3] يطلب فيها إعادة العلاقات السياسية والتجارية الودية بين الدولتين ويحث فيها الداي مصطفى باشا على عدم التدخل في شؤون مصر حفاظا على العلاقات الودية التي تجمع فرنسا بالجزائر وهو الطلب الذي قوبل بالرفض من طرف داي الجزائر[4].

2- السياسة العثمانية تجاه الحملة الفرنسية على مصر:

كانت الدولة العثمانية على علم بالاستعدادات الفرنسية منذ شهر مايو1798م بفضل سفيرها في باريس، فكان على الدولة أن تختار بين ثلاث أمور:

---

[1]- محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص231.

[2]- إبراهيم لونيسي: (حملتا فرنسا على مصر والجزائر)، جريدة الشعب، الجزائر، 1994، ص01.

[3]- نص الرسالة كان على النحو الأتي" من بونابرت القنصل الأول للحكومة الفرنسية إلى مصطفى باشا داي الجزائر.....أيها السيد الأعظم، إن حالة الحرب بين الدولتين ليس في مصلحتهما وإني أبعث إليكم بالمواطن تانفيل مع تفويض مطلق لإعادة العلاقات الودية بين البلدين وإني واثق أنكم ستخصصون نفس الإستقبال الذي كنت سأخصصه لأي من رعاياكم تكونون قد كلفتموه بمهمة مماثلة عندي". للمزيد أنظر: مولود بلقاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 171.

[4]- نفس المرجع، ص272.

الأمر الأول أن تقاوم الحملة الفرنسية علانية وبقوة السلاح والأمر الثاني أن تتحالف مع الجمهورية الفرنسية، أما الأمر الثالث أن تتظاهر بموافقتها على بقاء مصر في أيدي فرنسا ولكن تعمل سرا على إقامة العراقيل في طريقها.

فبالنسبة للأمر الأول فقد كان لدى العثمانيين أكثر من سبب يمنعهم من اتخاذ هذا الإجراء، فلكي يحققوا ذلك كان عليهم أن يعقدوا معاهدات مع أعدائها التقليديين، وهذا يعرض أمن الإمبراطورية لتهديد القوات الروسية والنمساوية التي ستهرع عندئذ لنجدتها، وبالإضافة إلى ذلك فإن الجنود الفرنسيين الذين يرابطون في جزر الأيونيان يستطيعون بسهولة السير إلى الأستانة ومعاقبة الباب العالي قبل وصول حلفائه، ولم تستطع الإمبراطورية العثمانية بدافع الكرامة أن تختار الطريق الثاني، أما الأمر الثالث فقد كان مطابقا لروح الحكومة العثمانية ففي هذا الحين نرى السلطان العثماني يصرح بأنه لن يفرط في حفنة من رمال مصر ويطالب المماليك بألا يثقوا في مناورات الفرنسيين، ويعدهم بإعطائهم كل مدد ونجدة، مع إرسال منشورات إلى الإيالات لكي توضح أن الفرنسيين ما يزالون أصدقاء الإمبراطورية العثمانية ولا بد أن يعاملوا معاملة حسنة بالرغم من أن شريرا يدعى نابليون قد غزا مصر، وهو خارج على سلطة الحكومة الفرنسية التي لا يد لها في ذلك[1].

وهكذا لم تقطع الدولة العثمانية علاقتها الرسمية بفرنسا واكتفى العثمانيون بالتضييق على روفان وظل الأمر كذلك حتى 22 أوت عندما وصلت أخبار انتصار نلسون[2] في معركة أبي قير البحرية، التي غيرت الموقف وقضت على ترددها إزاء الحملة، فأعلنت الدولة العثمانية الحرب على فرنسا 1 سبتمبر1798م[3]، وفي 2 سبتمبر أستدعى روفان

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر: دراسات....، المرجع السابق، ص80.

[2]– (1758–1805م) اسمه الكامل هو راشيو، عين ملازما في الأسطول البريطاني وعمره 18عاما، أصبح نائب أميرال عام1801م، ثم قائدا عاما للأسطول في ماي1803م، هزم الأسطول الفرنسي في موقعة أبي قير عام1799م، وقضى هذا الإنتصار على القوة البحرية لفرنسا ووطد السيطرة البريطانية على البحار للفترة المتبقية من القرن التاسع عشر ميلادي. أنظر: أحمد الشويخات، الموسوعة العربية العالمية، (د.م.ن)، (د.ت)، ص47.

[3]– للإطلاع على رسالة يوسف الأعظم المقدمة إلى مصطفى باشا لتجديد الولاية وإعلان الحرب على فرنسا، أنظر ملحق رقم06، ص143.

لمقابلة الريس أفندي الذي ألقى كلمة قصيرة قال فيها: " **إن الباب العالي يؤلمه أن يرى دولة صديقة تستولي دون إنذار على أثمن ولاية، تعتبر قلب العالم الإسلامي لقربها من مكة والمدينة، وقد ظل الباب العالي طويلا لا يستطيع تصديق أي أنباء عن هذا الاستيلاء، ولكن لسوء الحظ وبعد أن تحقق الديوان من صدق هذه الواقعة قرر عملا بالقاعدة المتبعة في حالة انفصام العلاقات الدبلوماسية، وبناءً على أمر مكتوب بيد السلطان نفسه أن تؤخذ فورا إلى قلعة الأبراج السبعة، وأن يقبض على جميع القناصل والتجار الفرنسيين المقيمين في أملاك جلالته المحروسة، وأن تصادر تجارتهم، وأن تحبس أنت وموظفو مفوضيتك حتى ترد مصر بعون الله إلى سلطة ملكنا ومولانا الذي لا يقهر** "[1].

فأخذت الدولة العثمانية في الاستعداد لمحاربة فرنسا لاسيما وأنها مطمئنة البال من جهة النمسا وروسيا اللتين كانتا منشغلتين بمحاربة فرنسا خوفا من امتداد مبادئها الحرة إلى بلادهما، ومن جهة ثانية عرض انجلترا المساعدة على إخراج الفرنسيين على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدولة العثمانية بمساعدتها بكل ارتياح[2].

كما اهتم تامارا Tamara السفير الروسي في الأستانة بمراقبة نشاط الفرنسيين وكان أعظم ما تخشاه روسيا هو أن ينتشر نفوذ فرنسا في الليفانت، ولا سيما بعد استيلاء الفرنسيين على جزر الأيونيان ومالطة مما زاد من مخاوف القيصر الروسي بول سيزار Paul Cizar الذي قرر الاتفاق مع الدولة العثمانية واجتمع السفير الروسي بالرايس أفندي في يوليو 1798م، وهكذا سارت المفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا من جهة وانجلترا من جانب آخر[3]، فتمخض عن التعاون الأوروبي مع الباب العالي عقد تحالفا دفاعية هجومية في اسطنبول مدته ثماني سنوات بين الدولة العثمانية وروسيا يوم 23 ديسمبر 1798م تعهد

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر: دراسات.....، المرجع السابق، صص80– 81.

[2]– محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، صص374– 375.

[3]– عمر عبد العزيز عمر: نفس المرجع، ص81.

كل طرف فيها بضمان أملاك الطرف الآخر[1]، وبالمقابل عقدت محالفة في 5 جانفي 1799م بين الدولة العثمانية وبريطانيا هدفها التعاون لإخراج الفرنسيين من مصر[2]، هاتين المعاهدتين مهدا لتشكيل التحالف الدولي الثاني ضد فرنسا وسرعان ما انضمت مملكة نابولي إلى الحلفاء بمقتضى معاهدة القسطنطينية في 21 جانفي 1799م[3].

بعد اتحاد الدونانمة العثمانية الإنجليزية والروسية أرسلت حملة إلى رودس آلت إلى الفشل[4]، وكرد فعل عليها عزم نابليون غزو الشام بالتالي فرض الحصار على عكا، لكن بسقوط قلعة العريش يوم 30 ديسمبر 1799م سعى كليبر للتفاوض مع العثمانيين من أجل الوصول إلى شروط مناسبة لخروج الفرنسيين من مصر[5] على أساس الجلاء عن مصر دون قيد وشرط بعد فقدان الآمال بوصول إمدادات من فرنسا، وقد رحب العثمانيون بالفكرة وتمخض عنها توقيع اتفاقية العريش 24 جانفي 1800م بين الصدر الأعظم يوسف باشا وكليبر[6]، وبذلك تم تحديد كيفية انسحاب الجيش الفرنسي من مصر بسلاحه وعتاده وجميع

---

(1)– نصت موادها العلنية على: المادة الأولى؛ أن الحلف دفاعي سيكون للقوتين في المستقبل نفس الحلفاء ونفس الأعداء، والمادة الثانية والثالثة اتفق فيها الطرفان حول سيادة كل دولة على ممتلكاتها، بما في ذلك سيادة الدولة العثمانية على مصر، كما تم الإتفاق على هذا الحلف لا يهدف إلى القيام بحروب بل يهدف إلى ضمان سلامة ممتلكات الدولة العثمانية وروسيا والعمل على الحفاظ على السلم العام. أما موادها السرية: تعهد روسيا بأن تمد الدولة العثمانية 12 قطعة حربية، وإذا تطلب تطور الحوادث تعزيز القوات العثمانية فإنها تمدها بقوات برية تتراوح عددها بين 75ألف و80 ألف جندي روسي، وفي المقابل تعهدت الدولة العثمانية أن تمنح روسيا الحق في أن تمر سفنها الحربية في المضايق مرورا حرا. للمزيد أنظر: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية اسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة، 1980، ص199.

(2)– أهم ما جاء في المحالفة: تعهد كل طرف بضمان أملاك الطرف الآخر، وضرورة مواصلة الحرب ضد فرنسا حتى إخراجها من مصر، وعدم إقدام أحد الطرفين المتعاقدين على إبرام صلح منفرد مع الأعداء دون موافقة الطرف الآخر. أنظر: محمد سهيل طقوس، الدولة العثمانية من قيام الدولة العثمانية على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2012، ص311.

(3)– ابراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988،ص192.

(4)– محمد فريد بك: المرجع السابق، ص376.

(5)– نقولا الترك: المصدر السابق، ص76– 80–81.

(6)– للإطلاع على إتفاقية العريش، أنظر ملحق رقم 07، ص144.

منقولاته على سفن يضعها الباب العالي بتجهيز السفن اللازمة للنقل قبل نهاية المدة المحددة[1].

ومنه قدم الوالي العثماني فرمان موجه من الوالي إلى سكان العريش وشعب مصر قائلا: " **منذ هذه اللحظة تأهبت السفن الإنجليزية والروسية لمداد العون لأسطول الباب العالي، سيكون لها مدد على الأرض، ولا سيما وقد ربطت أوامر الصداقة بين القوتين بعد معاهدة التحالف الجديدة التي أبرمت مع الباب العالي**"[2]، وبالمقابل قدم كليبر بيانا إلى الشعب حول الإتفاقية "...**فقد قام هؤلاء البرابرة الذين أبرمنا لتونا معهم هذا الإتفاق بمغادرة مواقعهم خاصة من بليس ضد أوامر زعمائهم، وواتتهم الجرأة على الظهور والدخول إلى القاهرة، حيث انتشروا في كافة الأنحاء وفي مغارق الطرق وهاموا في كل مكان كما العصابات، بل إن الأمر وصل بهم إلى حد الإحتماء ببعض الأحياء وتحصينها** "[3].

إن الدولة العثمانية ظلت متمسكة بالإتفاقية بالرغم من محاولات إنجلترا دفعها للحل العسكري وضرورة تحطيم الفرنسيين[4] هذا ما يؤكده الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا بقوله: بقوله: " **إن رفض الحكومة الإنجليزية لا أهمية له وغير ملزم ما دام الباب العالي نفسه قد وافق على المعاهدة** "[5]، وفي نفس الوقت كان العثمانيون يقومون بالزحف نحو بليس بقيادة بقيادة يوسف ضياء باشا ما جعل كليبر يخبر الصدر الأعظم بأنه قرر تأجيل اخلاء القاهرة، وأنه يعتبر زحفهم عملا عدوانيا تمخض عنها نشوب معركة عين الشمس[6] 20 مارس

---

[1]– مفيد الزيدي: العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، صص176– 177.

[2]–جوزيف ماري مورايه: مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر، ترجمة وتقديم كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، (د.م.ن)، 2000، ص79.

[3]– نفس المصدر، ص150.

[4]– مفيد الزيدي: نفس المرجع، ص177.

[5]– عمر عبد العزيز عمر: دراسات.....، المرجع السابق، ص94.

[6]– حي تاريخي أسس في عهد الفراعنة، يقع في شرق القاهرة، يشكل جزء من مدينة هيليوبوليس القديمة ويوجد بها العديد العديد من الآثار المدفونة. أنظر: عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، ط8، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1987، ص96.

1800م التي امتد ميدانها من المطرية حتى جهات الصالحية انتهت بهزيمة منكرة للجانب الفرنسي[1].

لكن بعد اغتيال كليبر جاء مينو إلى السلطة وألغى اتفاقية العريش مؤكدا بأنه لا يفصل في مسألة الجلاء عن مصر حتى تأتيه أوامر صريحة في هذا الشأن من حكومة باريس نفسها، وقد ولدت السياسة المنتهجة عودة الصداقة العثمانية البريطانية ضد الفرنسيين الذين زحفوا إلى أبي قير فنزلت الحملة في 8 مارس 1801م التي ترتب عنها طلب الحامية الفرنسية في القاهرة ـ قدرت بحوالي ألفين ـ وقف القتال والدخول في المفاوضات على الجلاء، بعدها وقعت الإتفاقية في 27 يونيو 1801م نصت على جلاء الفرنسيين عن القاهرة والجيزة وبولاق بأسلحتهم وعتادهم على نفقة الحلفاء في فترة لا تتجاوز 50 يوما[2].

أما مينو فقد شدد الإنجليز الحصار عليه برا وبحرا حتى اضطر لتوقيع اتفاق تسليم الإسكندرية يوم 31 أوت 1801م فتم بذلك جلاء القوات الفرنسية نهائيا من مصر يوم 18 أكتوبر 1801م، وفي نفس الفترة انتهت المفاوضات في لندن بتوقيع مقدمات الصلح المعروفة بمعاهدة لندن في 1 أكتوبر 1801م، وقد تضمنت هذه المقدمات القواعد الأساسية التي بنيت عليها فيما بعد معاهدة صلح أميان Amiens[3] الموقعة في 27 مارس 1802م بين بريطانيا وفرنسا واسبانيا وهولندا بعيدا عن الدولة العثمانية التي عقدت صلحا منفردا مع فرنسا[4] في 25 يوليو 1802م، فبهذا فشلت السياسة النابليونية في الشرق ومصر تحديدا[5].

---

[1]– محمد فريد بك: المرجع السابق، ص377.

[2]– نفس المرجع، ص378.

[3]– عمر عبد العزيز عمر: دراسات....، المرجع السابق، ص101.

[4]– نصت المعاهدة على: حق دخول السفن الفرنسية البحر الأسود وحمايتها من القرصنة، وضمان حق كل طرف سلامة سلامة ممتلكات الطرف الآخر. للمزيد أنظر: مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص178.

[5]– نفس المرجع، ص 178.

المطلب الثاني: مقومات نجاح فرنسا في حملتها على الجزائر

1- سوء الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية غداة الحملة

أ- الإصلاحات العسكرية

إن مسألة القضاء على الإنكشارية كانت ضرورة حتمية حتى تستمر الدولة العثمانية، نظرا لتاريخهم الطويل في التمردات ورفض النظم العسكرية الحديثة وتعدياتهم وظلمهم للأهالي في الولايات، ولم يكن ممكنا إصلاحهم، فكان القضاء عليهم هو الحل الأفضل لإدخال النظم العسكرية الحديثة، وليصبح لديه القدرة على مواجهة التحديات الأوروبية[1].

وعليه فإن السلطان محمود الثاني[2] كان يفكر منذ توليه الحكم في حل الفرقة الإنكشارية، وعندما سنحت له الفرصة في 15 جوان 1826م أمر بقصف معسكر الإنكشاريين الواقع في ميدان الخيول، القريب من طوب قابي سراي، وقد توفي في هذا القصف المدفعي حوالي سبعة آلاف من الإنكشاريين وفر الذين نجوا إلى خارج اسطنبول، وبهذا تخلصت الدولة العثمانية من عبئهم، وكان هذا الحدث في صالح الدولة والمجتمع على السواء ولذلك عرفت في التاريخ باسم الواقعة الخيرية هذا وقد تبع إلغاء الإنكشارية إلغاء العديد من الرتب والوظائف العسكرية داخل الدولة العثمانية.

ومن هذا المنطلق تأسست العساكر المنصورة المحمدية على أحدث طراز وتوفرت لها جميع الإمكانيات والمستلزمات والدعم المادي وشرع في تكوينهم على النمط الأوروبي، حتى

---

[1]- أماني الغازي: الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، السعودية، 2010، ص522.

[2]- ولد السلطان محمود الثاني عام 1780م وبدأ حكمه على عتبة القرن التاسع عشر، إبن عبد الحميد الأول تلقى في طفولته تعليما تقليديا قاعدته الأدب والموسيقى واللغة العربية، وترسخ في ذهنه مفهوما روحيا لسلطته الإمبراطورية، واجه في فترة حكمه العديد من التحديات الداخلية والخارجية أبرزها الحرب الروسية 1809- 1811م، الحركة الإنفصالية في اليونان، صراعه مع الإنكشارية 1826م، حاول تبني قاعدة إصلاحات شاملة في الجيش والإدارة والتعليم. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج6 ، صص 108- 109.

إنه خصصت لهم خزينة خاصة، وتدربت على الأسلحة الحديثة خاصة المدفعية وذلك بمساعدة بروسيا[1]، ومن أهم التعديلات التي أدخلت على هذا الجيش:

- أن يحدد قوام هذا الجيش بـ 12000 جندي في العاصمة وقوات أخرى في الإيالات التابعة للدولة العثمانية.
- مدة الخدمة العسكرية تحدد بـ 12 سنة قابلة للتمديد.
- يتولى قيادة هذا الجيش سار عسكر " قائد عام "، هو في نفس الوقت وزير الحربية العثمانية.
- إعادة تنظيم الأسطول وتعزيز صناعة السفن بمساعدة أمريكية وبريطانية والإستعانة بضباط من بروسيا لتدريب الجند.
- إرسال محمود الثاني بعثات إلى أوروبا لتلقي العلوم العسكرية والوجهة كانت بالخصوص فرنسا وبروسيا[2].

لكن المؤسف في الأمر أن الدول الأوروبية لم تعط السلطان محمود الثاني الوقت الكافي لجني ثمار هذا الإصلاح بحيث عقدت بريطانيا وفرنسا وروسيا الحلف الثلاثي عام1827م الذي من أهدافه إكراه السلطان محمود الثاني على منح بلاد اليونان استقلالها[3].

كما كان انقطاع علاقة السلطان محمود الثاني بمحمد علي باشا فزادت الهوة بينهما، ورفض هذا الأخير إرسال خبراء عسكريين لتدريب العساكر المنصورة مما جعل السلطان يشعر بالريبة منه، بعدها جاءت معاهدة أدرنة الحزينة التي أرغم السلطان محمود الثاني على توقيعها 14 سبتمبر 1829م والدموع تملأ عينيه لأنها بحق كانت أسوء معاهدة في التاريخ العثماني[4].

---

[1]– أماني الغازي: المرجع سابق، ص523.

[2]– أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، (د.م.ن)، 1982، 192.

[3]– أماني الغازي: نفس المرجع، ص523.

[4]– نفسه، ص523.

ب- جهود الإيالات السلبي في الحملة الفرنسية على الجزائر

اتخذت الحكومة التونسية موقفا غير مشرف تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ في الوقت الذي كان ينتظر منها أن تقف إلى جانب الجزائر في صد العدوان تواطأت مع فرنسا في غزو الجزائر، وقدمت لها التسهيلات اللازمة.

ومن القضايا التي تؤكد تورط التونسيين وموقفهم الداعم لفرنسا في غزوها للجزائر الحرب النفسية التي مارستها فرنسا على الجزائر من تونس كمقدمة للحملة العسكرية قصد خلق الهوة بين الشعب الجزائري وقيادته، إذ أن قبل مغادرة الجيش الفرنسي مدينة طولون متجها إلى الجزائر، أعلن الفرنسيون بيانا مطبوعا باللغة العربية حولت منه 400 نسخة بقنصلياتهم بتونس لتحريرها من هناك إلى الجزائر[1].

وفي نفس السياق ذكر القس روسو أن البايات التونسيين كانوا على شبه اتفاق مع الجانب الفرنسي منذ 1827م – تاريخ بداية الحصار الفرنسي ضد الجزائر- على تقديمهم للمساعدات اللازمة للفرنسيين في هذا الموضوع مقابل منحهم حكم بايلك وهران وبايلك قسنطينة، وهو ما نصت عليه اتفاقية 18 ديسمبر 1830م.

ولم يقتصر أمر الحكومة التونسية في موقفها من الاحتلال الفرنسي للجزائر عند هذا الحد، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، حيث منحت مساعدتها لأعوان المخابرات الفرنسية الذين أوفدتهم حكومة باريس إلى الجزائر[2].

أما ليبيا فبالرغم من معارضتها ورفضها للحملة الفرنسية على الجزائر، إلا أنها لم تبد أي رد فعل عسكري واضح كما كان الحال في الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، وقد أرجع عديد الباحثين أسباب عدم قدرة طرابلس على تقديم المساعدات المادية للجزائر، إلى تلك الصعوبات التي اعترضت حكم يوسف بن علي القرمانلي والتي تمثلت في قيام ثورات عديدة بمختلف الأقاليم الليبية (1806- 1830م) نتيجة سياسة الضرائب التي أثقلت

[1]- أحمد مسعودي : الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها، دار الخيل، (د.م.ن)، 2013، ص161.

[2]- نفس المرجع، ص163

كاهل السكان وإلى تهديدات الأساطيل الأوروبية التي تمكنت من إطلاق أسرى القرصنة عام 1819م ثم ما أعقب ذلك من خلاف حاد مع مملكة سردينيا(1825- 1826م)[1].

2- الدولة العثمانية في مواجهة التحديات الدولية

أ- الحركة الانفصالية في اليونان

بعد الواقعة الخيرية أصبحت الدولة العثمانية الواسعة المترامية الأطراف بلا جيش يدافع عنها حيث أنها لم تكن قد أسست بعد جيشها الحديث، ولم يكن لديها قوة عسكرية عدا جنود الإيالات المتطوعين ومن الطبيعي أن لا تفوت الدول الأوروبية الفرصة فبعد استيائها من إخماد الثورة اليونانية عمدت إلى توقيع اتفاقية لندن 06 جويلية 1827 ضمت كل من انجلترا وفرنسا وروسيا وقرروا الضغط على الباب العالي لصالح اليونان، وفي صيف عام 1827م اتحدت أساطيل الدول السالفة الذكر تحت قيادة الأميرال الإنجليزي كوردانتون Cordinton ودخلت البحر اليوناني بعد استرداد المورة[2].

بدأت القوات المشتركة لهذه الدول بحصارها، وفي هذه الأثناء كان الأسطول العثماني مرابطا في ميناء نافارين وهدد قائد الأسطول البحري قائدا لأسطول العثماني إبراهيم باشا بأنه إذا لم يغادر بلاد المورة سيقصف الأسطول، لكن الباشا لم يستجيب لهذا التهديد[3].

شوهدت أساطيل الاتفاق أمام ميناء نافارين في رأس مورة الجنوبي الغربي، كانت خيرة قطع الأسطولين العثماني والمصري راسية هناك تحت قيادة القبطان دريا حنكل أرغلوا طاهر باشا، لم يكن أسطول التحالف رافعا لعلم الحرب خلافا لقواعد القانون الدولي، وقد كانت الدولة العثمانية أساسا في حالة صلح مع الدول الثلاث.

---

[1]- أحمد مسعودي: المرجع السابق، صص 169- 170.

[2]- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، تر عدنان محمود سليمان،ج2، منشورات مؤسسة فيصل، إسطنبول، 1990، ص12.

[3]- أماني الغازي: المرجع السابق، ص525.

ظن طاهر باشا أن الأسطول جاء بهدف الضغط المعنوي ولم يكن من الميسور في كل الأحوال إمكانية الوقوف تجاه العدو الذي يفوقه بمراحل، أطلق أسطول التحالف مدافعهم سريا، فكانت النتيجة غرق 57 سفينة عثمانية خلال ثلاث ساعات ونصف واستشهد 800 جندي وهذه هي غارة نافارين الشهيرة 20 أكتوبر 1827م، كانت الدولة العثمانية بلا جيش والآن أصبحت بدون أسطول[1].

وقد استغل القيصر الروسي نيقولا خسائر الأسطول العثماني فقام بإعلان الحرب عليها في 26 أفريل 1828م، حيث بدأ الجيش الروسي بالتغلغل داخل البلقان والقفقاس وهدفه المواصلة نحو اسطنبول، فاجتمع الديوان الهيمايوني برئاسة السلطان محمود الثاني وقرر إعلان الحرب على روسيا وعين والي بروسة آغا حسين باشا قائدا عاما للجيش وقد تقدمت الجيوش الروسية بسرعة فائقة فوصلت مشارف أدرنة من جهة واستولت على قارص وأرضروم وأردهان من جهة أخرى.[2]

ب- الحرب العثمانية الروسية

أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية 26 أفريل 1828م فتمكنوا في أول محاولة من اجتياز بروت Prut ودخلوا الأراضي العثمانية 08 ماي 1828م وفي 12 ماي بدؤوا محاصرة "أناب" وهي قلعة عثمانية مهمة تقع على مسافة 50 كلم من القرم في مصب نهر كوبان، ولعل الملفت للانتباه أن الدولة العثمانية دخلت هذه الحرب بأفواج من المتطوعين اختيارا ولم يكن لديها إلا القليل من الجند الحديث وعلى نحو ذلك احتل الروس أناب في 11 جوان من نفس السنة، ثم توالى سقوط قارص وأخيس وانتصروا في الشرق وفي البلقان احتلوا رومانيا وفي أعقاب ذلك حضر القيصر نيقولاي بنفسه ليتوج النصر[3].

---

[1]- يلماز أوزتونا: المصدر السابق، ص12.

[2]- أماني الغازي: المرجع السابق، ص525.

[3]- يلماز أوزتونا: نفس المصدر، ص13.

وبعد حرب دامت سنة وأربعة أشهر و19 يوما وقعت مع روسيا معاهدة أدرنة التي تتكون من 18 مادة (15سبتمبر1829) والتي تضمنت أن يترك لروسيا البحر الأسود الشرقي بكامله، من نهر كوبان إلى حد باطوم (باطوم تبقى لدى العثمانيين) وأن يترك كذلك لروسيا المناطق المكونة بالأتراك من كربشان، كما تضمنت المعاهدة موافقة الباب العالي على اعتبار كربشان قطرا لروسيا، وهكذا أصبحت السواحل الروسية في البحر الأسود مساوية تقريبا للسواحل العثمانية فيها، كما تضمنت الاتفاقية أن تدفع الدولة العثمانية لروسيا غرامات خرب قدرها 5 إلى 11 مليون قطعة ذهبية، وعليه استنفذت هذه الحرب مالية الدولة العثمانية[1].

جـ- الموقف البريطاني السلبي من الحملة الفرنسية على الجزائر

على خلاف الموقف الإيجابي البريطاني من الحملة الفرنسية على مصر اتسم رد فعل بريطانيا تجاه الغزو الفرنسي على الجزائر بالغموض وعدم الجدية فإن أبدت معارضتها للخطوة الفرنسية وتخوفها من توسع الأخيرة في شمال إفريقيا، إلا أن نشاطها اقتصر على العمل الدبلوماسي ولم تبد أي نية للدخول في مواجهة عسكرية مع فرنسا[2].

ومما يلاحظ هنا أن الحكومة الإنجليزية قد تخلت عن موقفها المعادي لفرنسا بعد تمكن المعارضة الفرنسية من الإطاحة بنظام شارل العاشر في أواخر جويلية 1830م، حيث اعترفت بحكم لويس فليب وأخذت تتقرب من فرنسا خاصة بعد استيلاء حزب الأحرار على السلطة في شهر نوفمبر1830م.

كما أن المتتبع للأحداث يجد أن تحول موقف بريطانيا في القضية الجزائرية قد أملته ظروف سياسية جديدة طرأت على الساحة الأوروبية، حيث أدى سقوط نظام شارل العاشر في فرنسا إلى تخوف الأنظمة الملكية من انتقال رياح التغير إليها، مما أدى ببعض الدول الأوروبية مثل روسيا وبروسيا والنمسا إلى التحالف فيما بينها لمواجهة خطر الانقلابات

---

[1]- يلماز أوزتونا: المصدر السابق، ص13.

[2]- نفس المصدر، ص175.

والثورات التي قد تؤدي إلى القضاء عليها، وأمام هذه الخطوة أحست بريطانيا أنها بقيت معزولة وفضلت الانضمام إلى فرنسا وأعلنت عن صداقتها لها، خاصة بعد أن تبين لها أن الدولة العثمانية أصبحت غير قادرة على رعاية المصالح البريطانية بسبب ضعفها وتراجعها على الصعيد الدولي[1].

وعن روسيا فهي الأخرى لم تبد أي معارضة لغزو فرنسا للجزائر، وقد أعطى القيصر موافقته بدون تحفظ، وأعلنت الحكومة الروسية: " **أنها ستنظر بسرور إلى إحتفاظ فرنسا في الجزائر بمؤسسة وطيدة لتؤمن وإلى الأبد سلامة الملاحة في المتوسط** "[2].

ختاما وفي نهاية الفصل يمكن القول أن التطابق الكلي والتشابه التام بين مقدمات الحملة الفرنسية على مصر والجزائر لم يؤدي إلى نفس النتائج، وهذا مرده للوضع العام للدولة العثمانية، ففي أعقاب غزو مصر شهدت إستقرارا نسبيا مكنها من إتخاذ ردة فعل عسكرية رفقة عدد من الإيالات التابعة لها بالإضافة إلى حسن إستغلال القوى الأوروبية لصالحها، في حين لم تسمح الظروف المتردية داخليا والتحديات التي واجهتها خارجيا لصالح إتخاذ قرار عسكري لتحرير الجزائر، بالإضافة إلى عدم قدرتها على توظيف التوازنات الدولية لصالحها، كما إستفادت فرنسا من عزلة الجزائر عن العالم العربي بعد فقدانها لعمق الإيالات العسكري لإنجاح مشروعها في المنطقة.

---

[1]– أحمد مسعودي: المرجع السابق، ص176.

[2]– عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص37.

خاتمة

وبعد هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها قدر الإمكان الإلمام بجميع جوانب الموضوع المتناول، يمكن أن نخرج بجملة من النتائج والاستخلاصات تدور في مجملها حول:

- أن الدافع المحوري والرئيسي للتوسع الفرنسي في مصر هو الرغبة في إنشاء وتكوين إمبراطورية في الشرق تكون مركزها مصر.
- أن إرتباط الحملة بالجانب التنويري التحديثي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينفي الأهداف الإستعمارية والتوسعية في منطقة المشرق.
- إرتبطت الحملة الفرنسية على مصر بمبدأ التنافس الإستعماري مع بريطانيا العظمى على المستعمرات ومناطق النفوذ الحيوية.
- أن الحملة الفرنسية على مصر لم تقترن بشخص نابليون بونابرت وإنما هي فكرة قديمة لطالما شغلت بال السادة والملوك الفرنسيين، لم تسمح الظروف والأوضاع لتجسيدها.
- بالرغم من الطابع الإستعماري للحملة وأطماع نابليون الشخصية في مصر، إلا أن هذه الأخيرة إستفادت من هذا الإحتكاك الثقافي وقاست مدى تخلفها عن الحضارة الغربية.
- أن الحملة الفرنسية على الجزائر هو مشروع إستعماري إستيطاني إتخذ جملة من الذرائع والمبررات كوسيلة لشرعنة تجاوزاته وتصرفاته.

- عمل الإستعمار الفرنسي في الجزائر على تدمير النظم السياسية والإدارية التي وجدها، أعاد هيكلة الإقتصاد وتوجيهه وفق ما يخدم مشاريعه وإحتياجاته، وسعى لتشويه الثقافة والحضارة بضرب عمادها الدين الإسلامي.
- أن الأوضاع الداخلية المتردية للجزائر أواخر العهد العثماني هيأت الأرضية المناسبة والمناخ الملائم لنجاح الحملة الفرنسية.
- تعد الحملة الفرنسية على مصر وعلى الجزائر دور من أدوار المسألة الشرقية والتنافس الإستعماري على النقاط المحورية للدولة العثمانية.
- أن النسق المتصاعد للقوة الفرنسية على كافة الأصعدة والمستويات، قابله تدهور تدريجي للقوة العثمانية إنعكس سلبا على إيالاتها التي من ضمنها مصر والجزائر.
- لعب الإستشراق الفرنسي دورا رياديا ومحوريا في تجريد الحملات العسكرية على البلاد الإسلامية من خلال دراسة نفسيات الشعوب المستهدفة، أليات تفكيرها، مقومات تفوقها، وعوامل ضعفها وإيجاد الآليات والسبل الكفيلة للتغلغل داخلها.
- أن نجاح فرنسا في حملتها على الجزائر يعود لعدم قدرة الدولة العثمانية على توظيف التفاعلات الدولية لصالحها، على عكس الحملة الفرنسية على مصر أين استطاعت أن تتخذ موقفا عسكريا موظفة في ذلك القوتين البريطانية والروسية لصالحها.

- أن الجزائر وجدت نفسها معزولة على العالم الخارجي في مواجهة القوة الفرنسية " **جهود الإيالات السلبي والموقف العثماني والبريطاني المحتشم** " في حين عرفت مصر كيف توظف عمق الإيالات والنفوذ الخارجي لإفشال مشروع نابليون.

وعلى هذا النحو يمكن القول أن المد التوسعي بوصفه ظاهرة تسلطية أشهرت سيفها على رقاب شعوب العالم التي لم يتسير لها الأخذ بأسباب التطور المادي والنظم الحديثة والتقدم التقني كالذي حظيت به الدول الأوروبية الإستعمارية والتي تسمي هذا التمدن بالحضارة، قد يدفع للتساؤل عما إذا كانت هذه الشعوب قد إستفادت من هذه المدنية وإرتقت فعليا فوق المستوى الذي كانت عليه قبل الإحتلال، وهو الزعم الذي يقدمه اليوم المدافعون عن هذه الظاهرة فلو كان هذا واقعا حقيقيا فكيف نفسر حالة التخلف التي آلت إليها الشعوب بعد ذلك والفجوة الكبيرة التي تفصل بينهما والتي هي أعمق من الفجوة التي كانت تفصل بينهما قبل إحتلالها، وكيف أن هذه الدول لاتزال اليوم تتصدى بكل الوسائل بما فيها القوة العسكرية لإجهاض كل مسعى يقوم به شعب من أجل النهوض والإرتقاء.

ختاما نرجو أن نكون قد ساهمنا ولو بقسط يسير في إيضاح الرؤية حول الموضوع المتناول الذي نحن على يقين أنه يبقى يحتاج المزيد من البحث فيما يتعلق بعديد الجوانب والإشكاليات.

الملاحق

قائمة الملاحق:

ملحق رقم01 : المرسوم الذي أصدرته حكومة الديركتوار بتعليماتها إلى نابليون بونابرت للقيام بالحملة على مصر بتاريخ 12 أفريل 1798م.

ملحق رقم02: جدول يمثل العجز المالي للجزائر سنة 1822م.

ملحق رقم03: معاهدة إستسلام الجزائر في الخامس من جويلية 1830م.

ملحق رقم04: بيان الحملة الفرنسية على مصر عام1798م.

ملحق رقم05: بيان الحملة الفرنسية على الجزائر عام1830م.

ملحق رقم06: رسالة من يوسف الصدر الأعظم إلى مصطفى باشا سنة1213هـ (تجديد الولاية لمصطفى باشا، والأمر بإعلان الحرب على فرنسا).

ملحق رقم07: إتفاقية العريش 28 جانفي 1800م.

ملحق رقم 01

المرسوم الذي أصدرته حكومة الديركتوار بتعليماتها إلى نابليون بونابرت للقيام بالحملة على مصر بتاريخ 12 أفريل 1798م.

نظرا لأن البكوات الذين استولوا على الحكم في مصر قد أقاموا علاقات حميمية مع الإنجليز، ووضعوا أنفسهم تحت الخضوع التام لهم، والذي نتج عنه ممارساتهم الواضحة العدوانية ونواياهم الفظيعة ضد الفرنسيين، يضايقونهم وينهبونهم ويقتلونهم كل يوم.

ونظرا لأنه من واجباتها ملاحقة أعداء الجمهورية أينما وجدوا وفي أي مكان يرتكبون فيه هذه الأعمال، إضافة إلى الخيانة الشهيرة التي مكنت بريطانيا من التحكم في رأس الرجاء الصالح، مما جعل السبل إلى الهند بالطريق المعتاد صعبا جدا لمراكب الجمهورية. لذلك فإنه من الهام فتح طريق آخر لقوات الجمهورية لمواجهة المستوطنات الحكومية الإنجليزية وتجفيف منابع غناها المفسد.

لهذا تقرر مايلي:

– القائد العام لجيش الشرق سوف يوجه قوات البر والبحر التي تحت قيادته إلى مصر ويستولي عليها.

– سوف يطرد الإنجليز من كافة ممتلكاتهم في الشرق التي يستطيع الوصول إليها ويهدم بشكل خاص مصانعهم ومراكزهم التجارية على البحر الأحمر.

– سوف يفتح برزخ السويس، ويتخذ كافة الإجراءات اللازمة ليؤكد للجمهورية الفرنسية السيطرة الوحيدة على البحر الأحمر.

– سوف يحسن بكافة الوسائل التي يملكها أحوال المواطنين المصريين.

– سوف يحافظ على علاقات تفاهم طيبة مع الباب العالي ورعاياه المباشرين.

يوسف شرارة: الأيام الأولى للحملة الفرنسية على مصر، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011، صص230– 231.

ملحق رقم 02

جدول يمثل العجز المالي للجزائر سنة 1822م.

الواردات فى سنة 1822

	بالدولار الاسباني
ـ من بريطانيا ، منتجات الهندوبريطانيا	500ر000
ـ من اسبانيا ـ الحرير والسكر والفلفل والقهوة ومنتجات صناعية انجليزية وألمانية	300ر000
ـ من فرنسا ـ السكر والقهوة والفلفل والصلب والأقمشة وغير ذلك من المنتجات	200ر000
ـ من بلدان المشرق مادة الحرير الخام	100ر000
ـ منوعات الحرير من ايطاليا وفرنسا ، مجوهرات والاحجار الكريمة والماس	100ر000
المجموع	12ر00ر000

الصادرات فى سنة 1822

	بالدولار الاسباني
ـ من مواني المملكة فى اتجاه مرسيليا وليفورن وجنوه 20 000 قنطار من الصوف بسعر 8 دولارات للقنطار	160ر000
ـ 10000 قنطار من الجلود الخام بسعر 8 دولارات للقنطار	80ر000
ـ 600 قنطار من الشمع بسعر 30 دولار للقنطار	18ر000
ـ ريش النعام ومنتجات أخرى قليلة القيمة	15ر00
المجموع	273000

وليام شالر: مذكرات وليام شالر، تعريب وتعليق وتحقيق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، صص 102- 103.

ملحق رقم 03

معاهدة إستسلام الجزائر في الخامس من جويلية 1830م.

- أن يسلم حصن القصبة وجميع الحصون التابعة للجزائر وكذلك ميناء المدينة إلى الجيوش الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة(حسب توقيت فرنسا).
- يتعهد قائد حنرالات فرنسا بأنه سيترك لسموالداي جميع ثرواته الشخصية.
- الدي حر في الإنسحاب مع أسرته وثرواته إلى المكان الذي يحدده، وسيكون هو وأفراد أسرته تحت حماية قائد جنرالات فرنسا وذك طيلة المدة التي سيبقاها في الجزائر، ستقوم فرقة من الحرس بالسهر على أمنه وأمن أسرته.
- يضمن قائد جنرالات فرنسا نفس المزايا ونفس الحماية اجميع جنود الميليشيا.
- تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة، كما أنه لا يقع أي إعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات وعلى دينهم وأملاكهم وتجارتهم وصنائعهم ونساؤهم سيحترمن.
- إن قائد الجنرالات يتعهد بشرفه على تنفيذ كل ذلك وإن تبادل هذه الإتفاقية سيتم قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح، وبعد ذلك مباشرة تدخل الجيوش الفرنسية إلى القصبة ثم إلى جميع حصون المدينة البرية والبحرية.

في المعسكر المخيم، الجزائر، يوم 05 جويلية سنة ثلاثين وثمانمائة وألف.

إمضاء الكونت ديبرمون،

ختم حسين باشا داي الجزائر.

أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص45.

ملحق رقم04

بيان الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م.

بـســـــم الـلـه الـرحـــــمـن الـرحـــيـم

الجمهور الفرنساوي المبني على أساس الحرية والتسوية، السر عسكر الكبير بونابرته أمير الجيوش الفرنساوية يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد والسناجق الذين يتسلطوا في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والإحتقار في حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع البلص والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، واحسرتا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجبولين من بلاد الآبازا والكرجستان يفسدون في الإقليم الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على قضاء دولتهم، يأيّها المصريون قد يقولون لكم إنني لكم ما نزلت في هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم آنذاك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولو للمفترين: إنني ما قدمت إليكم إلا لكي ما أخلص دينكم وحقكم من يد الظالمين.

وإنني أكثر من المماليك أعبد الله وسبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمدا والقرآن العظيم. وقولوا أيضا إن جميع الناس متساوون عند الله وإن الشيء الذي يفرقهم من بعضهم بعضا هو العقل والفضائل والعلوم فقط. وبين المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التي تميزهم عن الآخرين؟ ويستوجب أنهم يتملكون وحدهم كل ما يحلو به حياة الدنيا حيثما يوجد أرض خصبة فهي مختصة للممايك، والجواري الأجمل والخيل الأحسن والمساكن الأشهى فهذا كله لهم خالصا، إن كانت الأرض المصرية إلتزام للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها لهم رب العالمين، هو رؤوف وعادل على البشر بعونه تعالن من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية، فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها، سابقا في الأمور المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر. وما أزال ذلك إلا الطمع وظلم المماليك، أيها القضاة والمشاييخ والأئمة ويأيها الشوربجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون خالصون، وإثباتا لذلك قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا، الذي كان يحث دائما النصارى على محاربة الإسلام، ثم فصدوا جزيرة مالطة،

وطردوا منها الكوالرية، الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه، وبالمقلوب المماليك امتنعوا من إطاحة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا إلا لطمع أنفسهم طوبي ثم طوبي لأهالي مصر الذين يقفون معنا بلا تأخير فيصلح أمرهم ويعلى مراتبهم، طوبي أيضا الذين يقعدون في مساكنهم غير ماثلين لأحد من الفريقين المحاربين، فإذا يعرفونا بالأكثر يتسارعون إلينا بكل قلب، لكن الويل ثم الويل للذين يتعدون مع المماليك ويساعدونهم في الحرب علينا، فما يجذدون طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى: جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها العسكر الفرنساوي، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر وكلاء من عندها لكيما يعرفون المشار إليهم أطاعوا وأنهم نصبوا السناجق الفرنساوي الذي هو أبيض وكحلي وأحمر.

المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار.

المادة الثالثة: كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي، الواجب عليها نصب السناجق الفرنساوي، وأيضا نصب سناجق السلطان العثماني، دام بقائه.

المادة الرابعة: المشاييخ في كل بلد ليختموا حالا جميع الأرزاق والبيوت والأملاك بتاع المماليك وعليهم الاجتهاد الزايد لكي لا يضيع أدنى شيء منها.

المادة الخامسة: الواجب على المشاييخ والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم، وعلى كل واحد من أهل البلد أن يبقى في مسكنه مطمئنا، وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة والمصريون بلجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى من انقراض دولة المماليك قاتلين بصوت عال: آدام الله إجلال العسكر الفرنساوي، لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية.

تحرير بمعسكر الإسكندرية في جويلية سنة1213هـ

عزت حسن أفندي الرارندلي: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوطة "ضيامنة" للرارندلي، تر جمال سعيد عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص138- 141.

ملحق رقم 05

بيان الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م.

عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص24.

ملحق رقم06

رسالة من يوسف الصدر الأعظم إلى مصطفى باشا سنة 1213هـ (تجديد الولاية لمصطفى باشا، والأمر بإعلان الحرب على فرنسا).

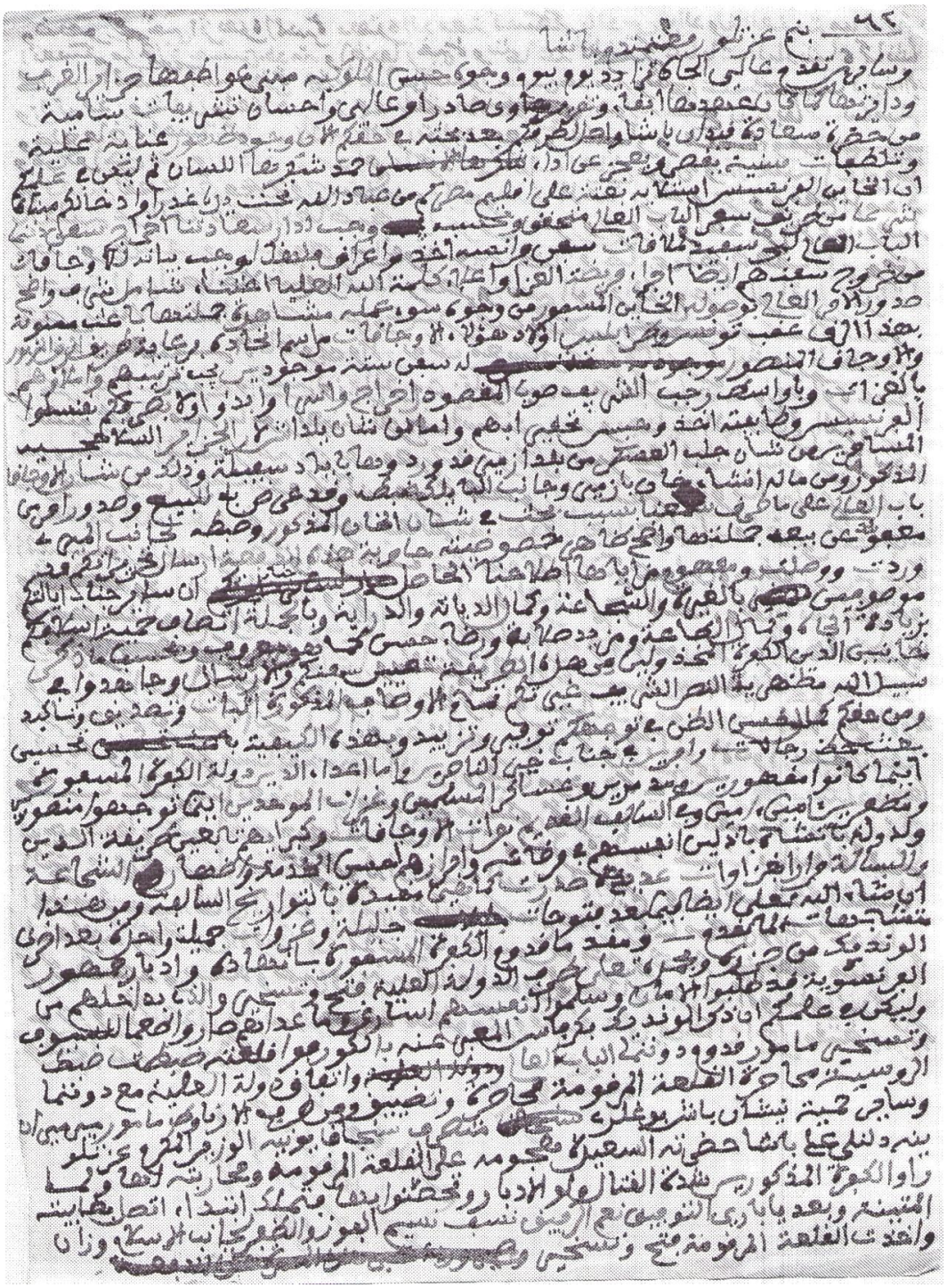

وثائق المكتبة الوطنية الجزائر، ملف 1، وثيقة رقم (62) .

ملحق رقم07

إتفاقية العريش 28 جانفي 1800م.

إتفاقية للجلاء من مصر مبرمة بين المواطن ديزيه قائد فرقة، والمواطن بوسليج مدير الشؤون المالية، المفوضين عن الجنرال كليبر القائد العام للجيش الفرنسي، وبين مصطفى رشيد أفندي ومصطفى راسخ المفوضين عن حضرة صاحب السمو العظيم.
إن الجيش الفرنسي في مصر رغبة منه في الإعراب عن مقاصده في حقن الدماء ووضع حد للمنازعات الضارة التي قامت بين الجمهورية الفرنسية والباب العالي قد قبل أن يجلو عن مصر طبقا لشروط هذه المعاهدة أملا أن يكون ذلك تمهيدا للصالح العام في أوروبا .
تضمنت هذه الإتفاقية إحدى وعشرين مادة أهمها نذكر:

- ينسحب الجيش الفرنسي بأسلحته وأمتعته ومنقولاته غلى الإسكندرية ورشيد وأبو قير.
- يتعهد الباب العالي بأن يبذل كل عنايته لكي يضمن جلاء القوات الفرنسية ولا تؤذى في أشخاصها أو أموالها أو كرامتها سواء من أهالي مصر أو من الجنود العثمانيين.
- الأشخاص الذين صودرت أموالهم وأملاكهم يستردون ما فقدوه أو ترد لهم قيمتها، وتتم ذلك في الأستانة بواسطة لجان تؤلف لهذا الغرض من الجانبين.

أنا الموقع أدناه القائد العام للجيش الفرنسي في مصر أوافق وأصدق على أحكام الإتفاقية المذكورة أعلاه لتنفذ بفحواها ومعناها، والموقع عليها من طرف مفوض الصدر الأعظم.

المعسكر العام بالصالحية يوم 28 جانفي 1800م.

عبد العزيز الشناوي وجلال يحيى: وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، (د.م.ن)، 1969، ص 514.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

01- الوثائق الأرشيفية:

1-وثائق المكتبة الوطنية، الجزائر، ملف1، وثيقة 62.

02 - المصادر المخطوطة والمطبوعة:

أ- المخطوطات:

1-الشرقاوي عبد الله: تحفة الناظرين في من تصرف في مصر من الولاة والسلاطين، (مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية)، رقم (822)، 1824.

2-الخشاب اسماعيل: المجموع في أخبار الثاني عشر تذكرة لأهل البصائر والأبصار مع وجه الإختصار، (مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية)، رقم (850)، 1874.

ب- المصادر المطبوعة:

1-أوزتونا يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، تر محمود سليمان عدنان،ج2، منشورات مؤسسة فيصل، إسطنبول، 1999.

2-بفايفر سيمون: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق دودو أبو العيد، دار هومة، الجزائر، 2009.

3-الجبرتي عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج3/2، دار الجيل، بيروت، (د.ت.ن).

4-ـــــــــــ: مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، تحقيق ودراسة وتعليق عيسى عبد الرزاق وعماد هلال أحمد، ج1، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

5-الزهار أحمد الشريف: مذكرات الزهار أحمد الشريف نقيب أشراف الجزائر1754- 1830م، تح المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

6-مورايه جوزيف ماري: مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر، ترجمة وتقديم صبحي كاميليا، المجلس الأعلى للثقافة، (د.م.ن)، 2000.

7-علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، ترجمة زهير الشايب، مج1، ط3 ، دار الشايب للنشر، القاهرة، 1992.

8-شالر وليام: مذكرات وليام شالر1816- 1824م، تعريب وتعليق وتقديم العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

9-الترك نقولا: ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، تحقيق وتقديم سويد ياسين، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1990.

10-خوجة عثمان بن حمدان: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق زبيري محمد العربي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

02-المراجع:

1-الإسكندري عمر وحسن سليم: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة سفدج، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

2-بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 1997.

3-بوصفصاف عبد الكريم : تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2013.

4-بوضرساية بوعزة: الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات م. و. د. ب. ح. و. ث، الجزائر،2007.

5-بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

6-بن براهم الطيب: الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، (د.ت)، 2004.

7-بن عقون عبد رحمن: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954م، ج3، ط2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008.

8-جوليان شارل أندري: تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبداية الإستعمار 1871-1827م، تر فاطمي جمال وآخرون، مج1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

9-الجمل شوقي عطا الله: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1977.

10-جرانت وتمبرلي هارول: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، تر فهمي بهاء، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (د.ت).

11-دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان(1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

12-هيرولد كريستوفر: بونابرت في مصر، ط1، تر أندراوس فؤاد، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية للكتاب، (د.ت)، 1986.

13-الوصيف محمد فرج: مصر بين حملتي لويس ونابليون، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، 1998.

14-زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر، موفم للنشر، الجزائر، 2010.

15-حبي لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، (د.م.ن)، 1921.

16-حليم ابراهيم بك: تاريخ الدولة العلية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.

17-طه جاد: معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، (د.م.ن)، (د.ت).

18-طقوس محمد سهيل: الدولة العثمانية من قيام الدولة العثمانية على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2012.

19-طربين أحمد: تاريخ المشرق العربي المعاصر، جامعة دمشق، دمشق، 1986.

20-ياغي إسماعيل أحمد وشاكر محمود: تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، ج2، دار المريخ، الرياض، 1993.

21-ياغي اسماعيل أحمد: العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، (د.م.ن)، 1997.

22-ـــــــــــــ: الدولة العثمانية في التاريخ العثماني، مكتبة العبيكان، (د.م.ن)، (د.ت).

23-يوسف أحمد: بونابرت في الشرق الإسلامي، تر الصبان أمل، تقديم الشلق أحمد زكريا، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

24-كشك محمد جلول: ودخلت الخيل الأزهر، ط3، الزهر للإعلام العربي، القاهرة، 1990.

25-لورانس هنري وآخرون: الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام، تر السباعي بشير، ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1955.

26-لونيسي رابح وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010.

27-مانتيران روبير وآخرون: تاريخ الدولة العثمانية، تر السباعي بشير، ج2، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1992.

28-المحامي محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق احسان حقي ، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.

29-محمد حسين عبد الغفار: بناء الدولة الحديثة في مصر،ج1، دار المعارف، القاهرة، 1889.

30-محمد علي اسماعيل: الإستشراق بين الحقيقة والتضليل، الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

31-محمد فؤاد شكري: الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).

32-محمود مصطفى نادية: العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي، القاهرة، 1996.

33-الميلي مبارك بن محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

34-مسعودي أحمد : الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها، دار الخيل، (د.م.ن)، 2013.

35-قنان جمال وآخرون: الإستعمار بين الحقيقية التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2006.

36-النايف محمد حسام: تاريخ أوروبا من الثورة الفرنسية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2011.

37-نايت بلقاسم مولود بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ط2، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

38-سليمان عبد العزيز نوار سليمان ونعنعي عبد المجيد: التاريخ المعاصر أوروبا، دار النهضة العربية، بيروت، 1974.

39-سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

40-ـــــــــــــ: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.

41-ـــــــــــــ: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

42-السقار منقذ بن محمود: الإستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية، (د.م.ن)، السعودية، 2007.

43-سراج الدين اسماعيل: تحديث مصر في عصر محمد علي، اعداد وتحرير يونان لبيب رزق ومحسن يوسف، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 2007.

44-السروجي محمد محمود: دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، (د.م.ط)، (د.م.ن)، 1998.

45-عبد المنعم محمد فيصل: مصر تحت السلاح، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، (د.ت).

46-عبد العزيز زينب: مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين، دار النهار للطباعة والنشر، (د.م.ن)، 1998.

47-عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013.

48-عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط4، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1987.

49-عبده ابراهيم: تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة 1798-1801م، ط2، مكتبة الآداب، الجمامين، 1949.

50-عودة محمد عبد الله والخطيب ياسين ابراهيم: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.

51-عوض أحمد عوض: نابليون بونابرت في مصر، مؤسسة الهنداوي للتعليم والنشر، القاهرة، 2012.

52-عوض لويس: الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)، 1992.

53-عمران محمود سعيد: تاريخ الحروب الصليبية (1095- 1291م)، دار المعرفة الجامعية، (د.م.ن)، 2000.

54-عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1990.

55-عمر عبد العزيز عمر: التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1992.

56-عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.م.ن)، 2007.

57-العسلي بسام: نابليون بونابرت (1768- 1821م)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.م.ن)، 1980.

58-العشماوي محمد سعيد: مصر والحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)، 1999.

59-فوك يوهان: تاريخ حركة الإستشراق، تر العالم عمر لطفي ، دار المدار للنشر، ليبيا، 2000.

60-فيشر هربرت: تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789- 1950م)، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط6، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1957.

61-فرانس بيتر: اغتصاب مصر، ترجمة مستجير مصطفى، سينا للنشر والانتشار العربي، (د.م.ن)، 1998.

62-فرج محمد: النضال الشعبي ضد الحملة الفرنسية، تقديم عطا محمد، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت).

63-فريد بنور: المخططات الفرنسية اتجاه احتلال الجزائر 1792- 1830م، مؤسسة كوشار للنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 2008.

64-صبري محمد: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، (د.م.ن)، 1926.

65-الصاوي حسين أحمد: فجر الصحافة في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م.ن)، 1975.

66-الصلابي محمد علي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2001.

67-الرارندلي عزت حسن أفندي: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوطة "ضيامنة" للرارندلي، تر جمال سعيد عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

68-روجان يوجين: العرب من الفتوحات إلى الوقت الحاضر، تر الجندي محمد ابراهيم، ط1، كلمات عربية، القاهرة، 2011.

69-رمزي إبراهيم: كلمات نابليون، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د.م.ن)، 2014.

70-رفعت محمد: تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق، (د.م.ن)، 1934.

71-الرافعي عبد الرحمن: الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر،ج2/1، ط6، دار المعارف، (د.ت).

72-الشيال جمال الدين: تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2000.

73-شمس الدين نجم زين العابدين: تاريخ الدولة العثمانية، ط2، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2014.

74-الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة، 1980.

75-الشناوي عبد العزيز ويحيى جلال: وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، (د.م.ن)، 1969.

76-شرارة يوسف: الأيام الأولى للحملة الفرنسية على مصر، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011.

77-التميمي عبد المالك خلف: الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي، عالم المعرفة، الكويت، 1983.

78-غربي الغالي: العدوان الفرنسي على الجزائر، الخلفيات و الأبعاد، المركز الوطني للدراسات للبحث في تاريخ الحركة الوطنية والثورة، الجزائر، 2007.

79-غربي الغالي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والشرق العربي 1288-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).

04- الرسائل الجامعية:

1-برابح محمد الشيخ: مواقف دول غرب المتوسط من الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2006-2007.

2-الحنفي يسرى محمد عبد الهادي: أثر الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربية، دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، 2001.

3-صحراوي فتيحة: الجزائر في عهد الداي حسين، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2010-2011.

4-قطوش وهيبة: الصراع الفرنسي الإنكليزي في المشرق العربي مصر وسوريا نموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2011-2012.

5-الغازي أماني: الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، السعودية، 2010.

05- الدوريات:

أ-المقالات:

1-الويسي حسن: (مالك بن نبي وموقفه من الإستشراق)، مجلة الدراسات الإستشراقية، ع09، 2016.

2-حزيم زعير حسن: (إرتقاء نابليون بونابرت للسلطة في فرنسا1799-1769م)، مجلة كلية الآداب، ع98، الجامعة المستنصرية، (د.ت).

ب-الجرائد:

1-لونيسي إبراهيم: (حملتا فرنسا على مصر والجزائر)، جريدة الشعب، الجزائر، 1994.

06- الموسوعات :

1-زكي عبد الرحمان: موسوعة مدينة القاهرة في الألف عام، ط8، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 2012.

2-الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج6/5/1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د. ت).

3-نصار محمد حسين: الموسوعة العربية الميسرة، ج5 ، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).

4-الشويخات أحمد: الموسوعة العربية العالمية، (د.م.ن)، (د.ت).

07- قائمة المصادر والمراجع بالفرنسية:

أ - المصادر:

1-Pélissie de Rausas.G : Le regime des capitulations dans l'empire Ottoman,T_1 , Arthur Rousseau, Paris, 1902.

2-Volney.M.C.F: Voyage en Syrie et en Egypte Pendent les année 1783, 1784, 1785…, vol_1, Paris, 1786.

3-Charles Roux Francois: Les origines de l'Epédition d'Egypte, Paris, 1910.

4-Charles Roux Francois: Bonaparte, Gouverneur d'Egypte, Paris, 1936.

ب - المراجع:

1 -Chafik Pacha Ahmed: L'Egypte moderne et les influense étrangères, Imprimerie MISRE S.A.E le Caire,1931.

2 -Mignet.M: Histoire de la révolution française depuis 1789 jusqu'à 1814, T_2, librairie de Firmin didot Fréres, Paris, 1861.

3 -Narbonne Bernard : La diplomatie du directoire et Bonaparte, d'après les papiers inédits du rebelle, la neuvelle édition, impremerie de Midi, Paris, 1951.

4 -Sorel Albert: Bonaparte et Hoche en1797, Plon, Paris, 1896.

5 -Ventrary.M: Journal d'un officier de l'arme d'Egypte, l'arme française en Egypte (1798-1801), Manuscrit mise en ordre et publier par Galli.H , Charpentier.G éditeur, Paris, 1883.

الفهارس

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الأعلام:

-أ-

إبراهيم باشا: 127.

إبراهيم بك: 21.

الإسكندر المقدوني: 26.

إسماعيل البراوي: 38.

إسماعيل خشاب: 21.

أبو القاسم سعد الله: 95.

أبي الحسن: 89.

أوركهردت: 24.

أحمد باي: 83.

أحمد بوضربة: 81.

أحمد الزيات: 100.

أحمد الشرقاوي: 38.

أنطوان بورو: 70.

-ب-

بوبغلة: 83.

بول سيزار: 120.

بولیناك: 82.

بورمون: 70، 81.

بوشار: 46.

بوتان: 58، 59، 60.

بطرس الأكبر: 106.

بكري: 78.

برو: 85.

بروت: 128.

بريتيه: 37.

برنار: 85.

برتولي: 45.

-ج-

جاك بارك: 102.

جاكوتان: 48.

جالان: 53.

جان ماري كاري: 51.

الجبرتي: 26، 35، 40، 42، 43، 44، 50، 51، 52، 117.

جول فيري: 67، 75.

جون بول سانت أندري: 58.

جون كامبون: 72، 73.

جورج ليجران: 45، 46، 47، 50.

جورجي بك زيدان: 106.

-د-

دايكن: 33.

داناس: 24.

دارجفيل: 52.

دوبوا تانفيل: 67.

دوبيري: 70.

دوبرمون: 88، 118.

دوبتي: 59.

دوجا: 37.

دوكو: 61.

دوكرسي: 57.

دوفال: 59، 66، 68، 69.

دورليان: 104.

دورتوا: 64.

دوغرامون: 77.

ديزيه لاكروا: 19، 47، 117.

دي توت: 14، 15.

دي توكفيل: 96.

دينون فيفان: 37.

دريا حنكل أرغلو طاهر باشا: 127.

-هـ-

هيرولد كريستوفر: 45.

هنري لورانس: 43.

هرمان هاوف: 67.

-و-

زايونشك: 36.

زينب عبد العزيز: 37.

-ح-

الحاج علي: 67.

حمدان بن عثمان خوجة: 68، 94.

حسين باشا: 62، 66، 68، 69 70، 81، 83، 128.

حسن بن عثمان خوجة: 81.

-ط-

طاهر باشا: 128.

الطيب بن براهيم: 102.

يوسف بن علي القرمانلي: 126.

يوسف ضيا باشا: 122.

يحيى آغا: 62.

-ك-

كاط: 77.

كاترين الثانية: 13.

كوردانتون: 127.

كلوزيل: 84، 92.

كليبر: 36، 39، 40، 44، 45، 50، 121، 122، 123.

كليرمون تونير: 59، 60، 104، 114.

-ل-

لافجيري: 92.

لويس السادس عشر: 14، 23، 67، 104.

لويس فليب: 111، 129.

لويس الرابع عشر: 12، 13، 57.

لويس التاسع(القديس): 11، 12، 30، 57.

لويس الثامن عشر: 63، 73.

لويس الخامس عشر: 13، 22، 57.

ليبنز: 12.

-م-

ماجلون: 18.

مالك بن نبي: 100.

مارك أوريل: 49.

مارسيل: 47، 48.

مارتينياك: 61.

المهدي الدرناوي: 117، 118.

مونج: 30، 43، 45.

محمد أوقاسي: 62.

محمد بك الألفي: 31.

محمد الكيلاني: 117.

محمد بقطاش: 90.

محمد كريم: 37.

محمد عبد الله عنان: 101.

محمد علي: 32، 33، 110.

محمود شاكر: 51، 102، 103.

محمود الثاني: 124، 125، 128.

مولطيدو: 118.

ميكيل: 68.

ميخائيل بوجناح: 78.

منو: 35، 36، 39، 42، 43، 45، 123.

مصطفى باشا: 67.

مصطفى بومرزاق: 83.

مصطفى خوجة: 62.

مراد بك: 21.

مترنيخ: 66.

-ن-

نابليون بونابرت: 11، 12، 18، 19، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 32، 33، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 56، 58، 59، 65، 67، 103، 108، 109، 112، 113، 118، 121.

نايت بلقلسم: 67.

نيقولا: 128.

نلسون: 119.

نقولا الترك: 41.

-س-

السادات(الشيخ): 39.

سان بريست: 14، 16.

سان تروبي: 67.

سافاري: 103.

سونيني: 15.

سيمون بفايفر: 69.

سليم الثالث: 117.

سليمان الحلبي: 39.

سلفستر دي ساسي: 104.

-ع-

عامر التنسي: 90.

عبد القادر: 83.

علي بتشين: 89.

عمرو بن العاص: 43.

عثمان بك: 31.

عثمان بك البرديسي: 29.

-ف-

فاطمة نسومر: 83.

فانتور: 49، 103، 115.

فاغنر: 92.

فولني: 17، 49.

فيلي: 45.

فيلهم شيمبر: 70، 71، 87، 92، 95.

فرانز فانون: 71.

فرانسوا الأول: 88.

فرانسوا(الجاويش): 38.

فريزر: 33.

-ق-

قاثم: 24.

-ر-

الرافعي عبد الرحمن: 35.

روفان: 119.

روفيغو: 93.

رين: 95.

رينيه: 37، 39.

الريس أفندي: 120.

-ش-

شاطو بريان: 79.

شال مارتل: 102.

شامبليون: 47.

شارلكان: 88.

شارلمان: 102.

شارل العاشر: 56، 64، 73، 778، 92، 104، 129.

شارل رو: 20، 26، 29.

شوازول: 12، 13، 14.

-ت-

تاليران: 14، 18، 19، 24، 34، 76، 78، 104..

تامارا: 120.

تولار: 46.

-ث-

ثيودور روزفلت: 72.

-خ-

خورشيد باشا: 31.

-غ-

غالبير: 66، 79، 87.

غوتييه: 91.

الغزالي: 79.

غرينيفيل: 70.

2- فهرس الأماكن:

-أ-

إيطاليا: 23، 28.

إيران: 95، 109.

إنجلترا(بريطانيا): 17، 18، 19، 20، 22، 23، 24، 25، 27، 28، 29، 31، 33، 47، 57، 74، 77، 106، 109، 111، 118، 120، 121، 123، 125، 127، 129.

إسبانيا: 58، 123.

الإسكندرية: 16، 17، 28، 34، 35، 36، 45، 48.

إفريقيا: 15، 26، 78، 79، 87، 107، 117، 129.

أبي قير: 16.

أدرنة: 26، 129.

أوكرانيا: 14.

أوروبا(الدول): 13، 15، 16، 18، 24، 27، 28، 29، 32، 49، 51، 56، 57، 58، 59، 60، 63، 72، 74، 105، 106، 107، 108، 110، 118، 125، 127.

الأيونيان(جزر): 119، 120.

ألبانيا: 18.

أمريكا(الولايات المتحدة): 14، 28، 57، 72.

أناب: 128.

أنقولام: 114.

الأنتاس: 28.

الأنتيل(جزر): 19.

أسيا: 15، 26، 27.

أردهان: 128.

أرزيو:83.

أرضروم: 128.

أثيوبيا: 15.

أخيس: 128.

-ب-

باب المندب: 16.

باطوم: 129.

باريس: 27، 40، 45، 48، 49، 67، 85، 96، 108، 118، 126.

بجاية: 83.

بواتيه: 102.

بولاق: 40.

بوسفور: 106.

بوفاريك: 93.

البحر الأبيض المتوسط: 15، 16، 18، 24، 28، 29، 71، 72، 106، 107.

البحر الأحمر: 15، 16، 18، 19، 25، 28، 106.

البحر الأسود: 129.

بليس: 122.

البلقان: 128.

بروسيا: 29، 125.

بروسة: 128.

البرتغال: 68.

-ج-

الجزائر: 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 67، 68، 69، 71، 72، 73، 74، 76، 77، 78، 79، 81، 82، 83، 85، 86، 91، 92، 94، 95، 96، 97، 100، 102، 107، 109، 111، 112، 114، 115، 118، 126، 130.

-د-

الدانوب(نهر): 32.

الدجلة(نهر): 106.

دمياط: 12، 16، 35، 34.

دمشق: 27.

الدردنيل(مضيق): 106.

-هـ-

هولاندا: 12، 123.

الهند: 12، 15، 16، 18، 19، 20، 23، 24، 27، 28، 33، 95، 106، 109، 120.

-و-

وهران: 83، 86، 91، 126.

-ح-

حلب: 27.

-ط-

طولون: 67.

طرابلس: 111، 126.

-ي-

اليونان: 15، 18، 29، 127.

-ك-

كوبان(نهر): 128، 129.

كورفو: 28.

كريت: 15.

كريشان: 129.

-ل-

ليبيا: 110، 117.

لندن: 127.

-م-

مازونة: 95.

مالطة: 28، 46، 120.

المدينة المنورة: 95.

المورة: 61.

المحيط الهادي: 106.

مكة: 95.

مليانة: 86.

المنصورة: 12، 30، 37، 83.

مستغانم: 86.

معسكر: 83.

مصر: 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 52، 74، 95، 100، 103، 104، 107، 108، 109، 110، 112، 115، 116، 117، 119، 121، 122، 123، 129.

مقدونيا: 18.

المشرق العربي: 107.

متيجة: 83.

المغرب: 57، 95، 110.

المغرب الأقصى: 86.

المغرب العربي: 106.

-ن-

نافارين(نوارين): 75، 127، 128.

الناصرية: 26، 44.

نهر النيل: 16.

النمسا: 27، 66، 107، 129.

-س-

سان دومنج: 28.

سانت هيلانة: 27.

السويس: 16، 19، 20، 24، 29، 36، 106.

سوريا: 17، 107.

سيدي فرج: 60، 61.

سكيكدة: 86.

سردينيا(مملكة): 127.

-ع-

عين الشمس: 122.

عين تيموشنت: 86.

عمان: 33.

عمراوة: 62.

عنابة: 82، 86، 91.

العراق: 33.

العثمانية(الدولة، الإمبراطورية): 11، 12، 13، 14، 15، 16، 18، 24، 25، 27، 31، 32، 36، 66، 95، 106، 107، 108، 109، 110، 119، 120، 123، 124، 125، 128، 129.

-ف-

الفرات(نهر): 106.

فرنسا: 13، 14، 15، 16، 18، 19، 20، 22، 23، 24، 25، 26، 28، 29، 30، 33، 35، 39، 42، 45، 48، 52، 56، 57، 58، 59، 60، 64، 65، 66، 68، 69، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 81، 83، 85، 91، 95، 103، 106، 109، 111، 114، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 123، 125، 126، 127، 129، 130.

-ق-

القاهرة: 16، 36، 38، 42، 44، 46، 51، 52، 122.

قارص: 128.

القسطنطينية: 14، 16، 27، 32، 49.

قسنطينة: 86، 91، 95، 126.

-ر-

الرأس الرجاء الصالح: 19.

الرومان: 26، 29.

رومانيا: 128.

روسيا: 13، 16، 58، 106، 107، 109، 120، 125، 127، 119.

الرميلة: 38، 39.

رشيد: 34، 45، 46.

-ش-

الشرق: 12، 27، 29، 32، 101، 102.

الشرق الأدنى: 106،.

الشرق الأقصى: 33.

-ت-

تونس: 86، 95، 107، 110.

تلمسان: 83، 89، 95.

تركيا: 19، 95.

-غ-

الغرب: 12، 101، 102، 103.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع ***صفحة***

مقدمة

الفصل الأول: خلفيات الحملة الفرنسية على مصر وتداعياتها..... 11-53

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على مصر.....11

المطلب الأول: جذور الحملة والظروف المحيطة بها.....11

1- النوايا والمخططات الفرنسية على مصر.....11

أ- مقترح ليبنز وشوازول.....12

ب- تقارير سان بريست ودي توت.....14

جـ- رحلة فولني.....17

د- مشروع ماجلون وتاليران.....18

2- أوضاع مصر وفرنسا أواخر القرن الثامن عشر.....20

أ- مصر.....20

ب- فرنسا.....22

المطلب الثاني: الدوافع الحقيقية للحملة الفرنسية على مصر.....23

1- الدوافع السياسية.....23

2- الدوافع الإقتصادية.....28

3- الدوافع الثقافية.....29

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية وانعكاساتها.....31

المطلب الأول: البعد الإستعماري من الحملة الفرنسية على مصر.....31

1- المخلفات السياسية.....31

2- الآثار الإقتصادية.....34

3- النتائج الإجتماعية.....36

4- الآثار الدينية.....41
المطلب الثاني: نظرة تحليلية نقدية للشق الحضاري من الحملة الفرنسية على مصر.....43
1- المجمع العلمي المصري.....43
2- لجنة العلوم والفنون.....45
3- حجر الرشيد.....46
4- خريطة جاكوتان.....47
5- المطابع والصحافة.....48
6- كتاب وصف مصر.....50
7- المسرح والمظاهر العمرانية.....52

الفصل الثاني: خلفيات الحملة الفرنسية على الجزائر وتداعيتها.....56-97

المبحث الأول: أسباب ودوافع الحملة الفرنسية على الجزائر.....56

المطلب الأول: جذور الحملة والظروف الممهدة لها.....56
1- المخططات الفرنسية لغزو الجزائر.....56
أ- مشروع دوكرسي وجون بول سانت أندري.....57
ب- مشروع بوتان ودوبتي.....58
جـ- تقرير تونير.....60
د- مشروع اللجنة العسكرية.....61
2- الظروف المحيطة بالحملة.....61
أ- ظروف الجزائر قبل الحملة الفرنسية.....61
ب- ظروف فرنس قبيل الحملة العسكرية على الجزائر.....64
المطلب الثاني: أسباب الحملة بين الإدعاءات الفرنسية والحقيقة التاريخية.....65
1- المبررات الفرنسية للحملة العسكرية على الجزائر.....65
أ- حادثة المروحة.....66

ب- فكرة الانتقام للشرف الفرنسي.....68
جـ - الإدعاء بأن الحملة تأديبية مؤقتة.....69
د- حقيقة الرسالة التمدينية الفرنسية.....70
هـ- فكرة القضاء على القرصنة.....72
2- الدوافع الحقيقية للحملة الفرنسية على الجزائر.....73
أ- الدوافع السياسية.....73
ب-الدوافع العسكرية.....74
جـ- الدوافع الإقتصادية.....75
د- الدوافع الدينية.....78

المبحث الثاني: نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر وانعكاساتها.....81
المطلب الأول: التداعيات السياسية والإقتصادية.....81
1- على الصعيد السياسي.....81
2- على الصعيد الإقتصادي.....84
المطلب الثاني: التداعيات الدينية والاجتماعية 88
1- على الصعيد الديني.....88
2- على الصعيد الاجتماعي.....92

الفصل الثالث: المشروع الفرنسي على مصر والجزائر
نقاط الإلتقاء والتباعد.....100- 130
المبحث الأول: تشابه المقدمات في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر.....100
المطلب الأول: دور الإستشراق في حملتي فرنسا على مصر والجزائر.....100
1- مفهوم الإستشراق.....100
2- الخلفية الإستعمارية للإستشراق.....101
3- الإستشراق الفرنسي ومساهمته في حملتي مصر والجزائر.....102

المطلب الثاني: حملت فرنسا على مصر والجزائر دور من أدوار المسألة الشرقية.....105
1- مفهوم المسألة الشرقية.....105
2- الحملة الفرنسية على مصر والجزائر جزء من أجزاء التنافس الاستعماري الأوروبي.....107
أ- مصر.....107
ب- الجزائر.....109
المطلب الثالث: نظرة تحليلية للبيانين الفرنسيين في مصر والجزائر.....112
1- بيان الحملة الفرنسية على مصر.....112
2- بيان الحملة الفرنسية على الجزائر.....114
3- أوجه الشبه بين البيانين.....115

المبحث الثاني: اختلاف النتائج في الحملة الفرنسية على مصر والجزائر.....117
المطلب الأول: أسباب فشل الحملة الفرنسية على مصر.....117
1- جهود الإيالات الإيجابي في الحملة الفرنسية على مصر.....117
2- السياسة العثمانية تجاه الحملة الفرنسية على مصر.....118
المطلب الثاني: مقومات نجاح فرنسا في حملتها على الجزائر.....124
1- سوء الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية غداة الحملة.....124
أ- الإصلاحات العسكرية.....124
ب- جهود الإيالات السلبي في الحملة الفرنسية على الجزائر.....126
2- الدولة العثمانية في مواجهة التحديات الدولية.....127
أ- الحركة الإنفصالية في اليونان.....127
ب- الحرب العثمانية الروسية.....128
جـ- الموقف البريطاني والروسي السلبي من الحملة الفرنسية على الجزائر..129
خاتمة.....132

الملاحق.....137
البيبليوغرافيا.....146
فهرس الأعلام والأماكن.....160
فهرس الموضوعات.....179